مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية) المجلد : ٣٣ ، العدد: ١، الجزء: أ ، السنة : ٠٨ ، ص٥ –٥٠

آليات الرفض والتمرد في شعر أحمد مطر

أ٠م٠د٠ نضال ابراهيم ياسين
جامعة البصرة – كلية التربية – قسم اللغة العربية

الخلاصة

الرفض في اللغة هو ترك الشئ ، تقول : رفضني فرفضته ، وقد ورد في اللّسا ن [١] : رفضتُ الشئ ،أرفضُه ، وأرفِضه رفضاً ورِفضاً : تركته وفرقته .

أما التمرد في اللغة [٢] ، فهو مجاوزة الحد ، تقول : مَرَدَ الأنسان مَردا : طغى وجاوزحدّ أمثاله، أو بلغ غاية يخرج بها عن جملتهم ، وتمرّد الغلام على القوم : عصى وصار عنيدا مصرّا .

أما الرفض والتمرد في الأصطلاح فهما لا يختلفان عن المعنى اللغوي ، فالرفض عند الشاعر هو استنكار مظاهر القبح في واقعه ، وتركها ، ونقدها والسخرية منها .

والتمرد : هو الآخر يكاد يتفق مع معناه اللغوي ، فهو الرفض ، والخروج عن رأي الآحرين ، ومخالفتهم واعلان العصيان على الواقع المتدني والفاسد ، ويلاحظ أنه يلتقي مع الرفض في هذا المعنى ، وان كان التمرد أشدّ وطأة في دلالته من الرفض ، ولكن كلاهما يتفق في معنى عدم تقبل الواقع ، وانكاره ، والسخرية منه ، والتحريض عليه بأساليب شتى .

انّ الرفض والتمرد باتا قدراً للشاعر العربي ، فقد دفعته الظروف القاسية ، والأزمات المتلاحقة الى تبني رؤية الرفض والتمرد بوصفهما السلاح الذي تبقى لديه في رد اعتباره لنفسه وللآخرين {تمكّنه من وضع مسافة بين أحلامه وتطلعاته ، وبين الواقع ومسوغاته } [٣]

والشاعر أحمد مطر [٤] ينتمي الى الشعراء الرافضين المتمردين على واقعهم ، بل يأتي في طليعة هؤلاء الشعراء ، وقد اختار الأحتماء بالرفض ، ولجأ الى التمرد وله أكثر من سبب مقنع لأعلان تمرده على الواقع ، ورفضه جملة وتفصيلا ، فهو من جيل الشعراء الذين بدأوا مشوارهم الابداعي على وقع انكسارات ، ونكبات ، وأزمات سياسية واجتماعية ، فهو شاعر عراقي عاش . منذ وقت مبكر . أزمات ، ونكبات متلاحقة ، وانكسارات على صعيد الفرد والمجتمع ، باتت عبئاً ثقيلاً حمله ورزح تحت وطأته حتى وجد نفسه مقيدا بأصفاد زمن عصيب ، عاجزا عن تحقيق طموحه ،وآماله ، وكذلك طموح وآمال جيله وأحلامهم .

عاش أحمد مطر حالة القمع والتهميش ، والقهر ، والظلم ، والأغتراب والأقصاء التي تعالى مدّها فأصبح صاخبا يعلو كل الأصوات ، وهذا ما دفعه الى تبنّي الرفض والتمرد ، وترك الصمت والخضوع ،

والمساهمة في رسم صورة لدولة فاضلة يتحقق في رحابها العدل والمساواة ، والحرية ، وتختفي فيها مظاهر القهر والأقصاء.

أنّ قصائد أحمد مطر" ولافتاته " [٥] ،هي نوع من القصائد التحريضية الرافضة هدفها لفت الانتباه ، وجذب الأسماع للتعريف بواقع مرير ، والتنبيه على خطورته ، والتحريض عليه وادانته ، ورفضه .

المقدمة

هناك مقولة تكاد تشكل قانونا ابداعيا مؤداه لايوجد أديب يقبل الواقع ، ومن ثم كل أديب رافض بالضرورة ، وهو لا يتصالح مع الواقع ، وإن بدا كذلك ، هذه شبه حتمية نصل اليها من خلال قراءة النص واستجلاء دلالاته ، واستكناه ما يرمي اليه .

وعبر تنامي وعي الاديب بشكل عام والشاعر بشكل خلص يشتبك الشاعر مع واقعه ، ويأخذ الكون الشعري عنده شكل ما يعرض عليه أو يعترضه ، وهو بذلك يأخذ ويترك ، يقبل ويرفض مما يحول الحياة برمتها الى ثنائية المقبول والمرفوض ، والشاعر هنا يكون موزعا بين ثنائيتين محكوما بهما تبدوان وسيلة للتعرف على عالم الشاعر الداخلي ، وبعض ما يعانيه تجاه القضايا العامة والخاصة . وبهذا فإن قراءة النص الشعري تكشف عن عمق الرؤية الانسانية ، وتضعنا على مقربة من النص الشعري متيحا لنا القدرة على الكشف عن أبعاد فنية جديدة .

إذن ينطلق الشاعر في تجربته الشعرية من تجربة الاختلاف مع الواقع لا من أجل الخلاف في حد ذاته وإنما من أجل توظيفه لخدمة رؤيتهم الجديدة من أجل طرح نوع من المواجهة لما يراه الشاعر نوعا من الرفض ، أو البحث والتنبيه لطرق الاصلاح، تلك المواجهة هي التي تمثل شرارة الابداع ، وفي كشفنا عن الرفض في النص الشعري يحكمنا مسألتان : أولهما كون الرفض موضوعا تتداوله النصوص ، والاخرى معنى تطرحه القصيدة وتؤكد عليه .

ان الرفض عند الشاعر هنا تقنية أو آلية تحكم عملية انتاج الدلالة النصية باعتبار ان الشاعر رافض بالضرورة ، وفي بحثنا هذا سنتولى الكشف عن هذه الآليات أو الادوات التي يمكن للنص الشعر ان يمتلكها فيدرج تحت تحت مسمى الرفض والتمرد .

آليات الرفض والتمرد في شعر أحمد مطر

لقد تعددت موضوعات الرفض في شعر أحمد مطر ، فهي ما بين رفض للقهر والظلم والتهميش ، والأستغلال ، والأغتراب ، والجوع ، والنفي ، والاستعباد ، وبين رفض للحاكم الجائر ، والتسلط الأجنبي ، وأجهزة القمع .

وكما تنوعت موضوعات الرفض والتمرد وأشكاله ، تنوعت آليات الرفض ومدياته . وسأتناول في هذا البحث ما كان أكثرها وضوحا واقناعا في انتاج دلالة الرفض ، والب

الرفض والتمرد من خلال عناوين القصائد

للعنوان أهمية كبيرة في الأبداع والتلقي ، أي في التعبير عن قضية الشاعرمن جهة ، وفي فهم النص وتأويل المتلقي له من جهة أخرى . ولعنوانات أحمد مطر في ديوانه دورفي تسليط الضوء على بنية الرفض وتأكيد دلالته ، ولعل في استعراضنا لبعض العنوانات ما يثبت ذلك فكلمة "لافتات" التي جعلها سلسلة وصلت الى خمس مجموعات ، تعطي انطباعا واضحا عن شكل هذه القصائد التي تحتويها ومضامينها واهدافها ، وهي في كل ذلك ليست بعيدة عن مضمون الرفض والتمرد بل ان مصطلح اللافتة اقرب الى التمرد والرفض ومنسجم تماما مع هذه المضامين ، فالشاعر يعلن في غير مناسبة انه رجل يسير في مظاهرة صاخبة يحمل فيها لافتاته الخاصة التي تحمل رموز واشارات تدل على الاستنكار والرفض ، و مما يلاحظ في ديوان الشاعر أحمد مطر (المجموعة الشعرية الكاملة) ان الديوان قسم على مجموعات اتخذت كل مجموعة عنوان "لافتات " بعد ان اعطيت رقما تسلسليا ، فهناك : لافتة "١" ، ولافتة "٢" ، ولافتة "٣" وهكذا ، ولا يخفى المضمون الايحائي الذي تشير اليه لفظة " لافتة" ، فاللافتة هي قطعة تكتب عليها عبارات ساخنة رافضة مستنكرة يحملها مستنكر رافض ويسير ملوحا بها في مسيرة حاشدة ، وسميت لافتة لما اريد بها من لفت انتباه الآخرين وتوعيتهم وتنبيههم على امر ما . لقد اقترنت اللافتات بالرفض والمطالبة والاستنكار ، اما صاحبها فهو غالبا متمرد مستنكر رافض . كما كانت دلالة الرفض واضحة من خلال عنوانات القصائد داخل هذه اللافتات ، ولما كانت اللافتات تتسم بالقصر والوضوح والاثارة ، فقد تبلورت هذه السمات لا شعوريا في وجدان الشاعر في أثناء العملية الابداعية ، وظلت عناوين القصائد نفسها تحمل هذه السمات ، وهي على قصرها إلا أن لغتها اكتسبت سمات اللغة الخاصة بصاحبها كما اكتسبت سمات التحدي والرفض والتمرد الصارخ مما ينسجم مع كونها لافتة . ومن تلك العنوانات نذكر :

" انتفاضة " وهو عنوان لا يحتاج الى تعليق في بيان صلته بالرفض ، ذلك لأنّ الانتفاضة تشكل ذروة الرفض ، وعنوانه الرسمي .

"حصار" : عنوان يوحي بالضيق والقهروالمعاناة ، ويدعو الى التمرد والثورة ورفض ذلك الحصار بكل انواعه .

"الطوفان" : لايختلف كثيرا عن الانتفاضة ، فهو دعوة للثورة والرفض والتحدي السافر، واطلاق العنان للكلمة الحرة ، والضمير الحي ، فهما الطوفان الحقيقي ضد الظلم .

" اضراب ": وهذا العنوان يعد دعوة واضحة للتمرد والامتناع والرفض .

"دمعة على جثمان الحرية" : عنوان فيه دلالة واضحة على الاستلاب والضياع والموت للازمة مهمة من لوازم الانسان وهي الحرية ، وفي ذلك تنبيه للغافلين ،وصرخة مدوية من اجل كرامة الانسان .

"تمرد" : العنوان دعوة صريحة للتمرد .

"ثارات" : العنوان دعوة للثأر ، وتمرد ضد الجلاد ، ورفض لأسلوب الأستبداد .

"أين المفر" : سؤال حائر ، وعنوان يوحي بالضياع في متاهة سلطة الحاكم وجبروته ،وهو لايخلو من دعوة للتمرد والخروج من تلك المتاهة .

"احفروا القبر عميقا" : عنوان فيه دعوة لمواراة الأسىوالظلم ، والأستبداد المتمثل بالحكام المتسلطين ، وقبرهم في الأعماق ، وجعل الكراسي نعوشا لهم ،

"كيف وأين وماذا "أسئلة متنوعة تفضي الى مرارة واقع الانسان العربي التائه في ظلمات الواقع الفاسد ، وهو لاشك رفض واستنكار لمثل هذا الواقع المخزي الذي يصبح فيه الانسان صخرة ، أو دمية ، وربما بهيمة .

"عزاء على بطاقة تهنئة" : وفي هذا العنوان استفزاز للقارئ ، فكيف يكون العزاء على بطاقة التهنئة ، انها سخرية مرة لواقع مرير فرض على انسان سلبت ارادته .

"سلاما أيتها الحرب " : ولا يخفى ما حمله هذا العنوان من طباق بين لفظتي " سلام ، وحرب" أفضى الى سخرية مرّةمن خلال الدعوة للحرب بالسلام ، وفيه لاشك رفض وتمرد لوضع مؤلم . ومثل هذا كثير في ديوان الشاعر أحمد مطر ، نحيل القارئ الكريم عليها [٦]

الأسا ليـــب البلاغيـــة

تعد الأساليب البلاغية أحد المؤثرات المهمة في التعبير عن مدى تأثر الشاعر ، وانفعاله مع الحدث سلبا وايجابا (قبوله ورفضه)ولاسيما أساليب الجملة الأنشائية ، فهي منبهات اسلوبية تؤكد بنية الرفض لدى الشعراء ـ ولاسيما التي خرجت منها لهذا الغرض ـ وأشهرها ورودا في ديوان أحمد مطر :

النـفي

يعد النفي أسلوب رفض صريح في شعر أحمد مطر ، فهو ينفي ليرفض واقعا مريرا ، وينفي ليعبر عن سخريته من ذلك الواقع البائس ، وهو ينفي ليدافع عن نفسه ، وينفي ليعبر عن الثورة والتمرد [٧] ، ولعل الأداة "لا" هي الأشهر من بين أدوات النفي الدالة على الرفض ، ولكنها قلما تأتي منفردة وحدها في ديوان مطر ، فهي غالبا ما تأتي مقترنة بـ "لن" أو "ليس" وبهذا تخفف من حدّتها وتقلل النبرة الخطابية الزاعقة التي كانت من سمات القصيدة الحماسية التقليدية، وتمنحها الهدوء الذي بدأت القصيدة الحديثة تجنح اليه دون النبرة الحماسية [٨]

ومع هذا فقد اجاد الشاعر احمد مطر في التعبير عن الرفض من خلال أداة النفي "لا" ، وفي قصيدته "السهل الممتنع"جاء النفي للتعبير عن الرفض من خلال اداة النفي "لا" ، اذ اتخذ الشاعر من "الشعر" رمزا لذاته حين تمرد الشعر على الشاعر واعلن الثورة ، متخذا من "لا" سلاحا للرفض أطلقه بوجه الشاعر متمردا عليه ، يقول : [٩]

يهتف الشعر برأسي
كفّ عن صفعي ورفسي
أنت مهما كنت
لا تملك اطلاقي وحبسي
أنا لا تحبسني رنّة أصفادي
ولا تطلقني رنّة فلس
هكذا طبع حياتي
.....
أنا لا أسمع بالايجار جرسي
وأصمّ الأرض مجانا بهمسي !
أنا لا تؤلمني مرودة الصوف .
ولا يسعدني ثوب الدمقس .

ومرة اخرى يوظف الشاعر "لا" النافية للكشف عن حالة الاستسلام والخنوع التام لأجهزة السلطة محاولا نقد هذه الحالة وتعريتها والتنديد بها ورفضها ، ومحاولا كذلك رفض اجهزة النظام القمعية والتمرد عليها ، اذ يقول : (١٠)

كنت أمشي في سلام
عازفا عن كل ما يخدش
أحساس النظام
لا أصيخ السمع
لا أنظر
لا أبلع ريقي
لا أروم الكشف عن حزني
وعن شدّة ضيقي
لا أميط الجفن عن دمعي
ولا أرمي قناع الابتسام
كنت أمشي والسلام
فأذا بالجند قد سدّوا طريقي

ويلاحظ ان الشاعر اعتمد التكرار وسيلة لتوكيد النفي مما عزز من ابراز الحالة السلبية التي حاول استنكارها ونقدها هنا ، كما لا يخفى ما احدثه التكرار من تلوين موسيقي من خلال تتابع الحروف المتكررة .

وكثيرا ما تقترن "لا" النافية بـ "لن" فتخفف من حدّتها اذ انها تمتلك الهدوء االمفتقد في "لا" وهي غالبا ما تقترن بفعل يفيد الرفض أو يدل عليه ، فيكون التركيب (لا +لن + فعل الرفض) وبسخرية لاذعة يستنكر الشاعر حالة الغفلة والنوم واللامبالاة التي أصبحت عليها الأمة العربية ، اذ يقول : (١١)

لا لن تموت أمتي
مهما اكتوت بالنار والحديد
لا .. لن تموت أمتي
مهما ادعى المخدوع والبليد
لا .. لن تموت أمتي
كيف تموت ؟
من رأى من قبل هذا ميتا
يموت من جديد ؟ !

وفي " حالة خاصة" يحاول الشاعر ان يثور ويتمرد على حالة تمكنت منه فأحالته حطاما ، وهو من خلال تمرده انما يتمرد على الواقع السياسي ويرفضه لأنه هو من أوصله الى حالة البؤس تلك ، وفي سخرية لاذعة يكرر اداة النفي "لا:" مقرونة بـ"ليس" مرة وبـ"لم" مرة وبأداة توكيد اخرى كي يعبر عن رفض أكيد ومتواصل لواقع بائس ، يقول : (١٢)

نعم أنا حطامْ
جلدٌ على عظامْ
لا ، لم أعذب أبدا .
لا ، ليس بي سقامْ
لا ،لستُ في صيامْ
لا ، أنني أنامْ
لا ، لستُ أشكو مطلقا
من شدّة الغرامْ .
لا حالة الجيب على أحسن ما يرامْ
لا تتعبوا يا سادتي
في فهم معنى حالتي
مختصر الكلام
أني اذا ما خطر الحاكم لي
لا أشتهي الطعامْ

ولن يعيد صحتي
الاّ طبيب حاذق
يفهم في نظامها
فيقلب النظامْ

ويلاحظ ان الشاعر هنا وظف النفي اسلوبا للسخرية من حالة معينة ، حيث استغله في اثبات هذه الحالة ، وقد انقلبت في النهاية الى مفارقة أفضت الى سخرية مريرة عبرت عن مقدار الألم الذي يعانيه الشاعر من جور السلطة ، واستبداد الحاكم .

ومرة أخرى يصبح النفي عند مطر تحديا وثورة ، وتمرداً يفصح الشاعر فيه عن عدم اهتمامه بكل شيء ، وبأي شيء في سبيل تحقيق ذاته وقناعاته ، يقول : (١٣)

لستُ أهتم
بمن كان معي ، أو كان ضدي
لستُ أهتم بمن أترك بعدي
لستُ أهتم بمن يبكي دموعا
أو بمن يبكي دماء
ليس عندي
غير همّ واحدٌ
أن أسبق الموت الى العيش
فأغدو من ضحايا كربلاء

ويلاحظ ان الشاعر استعان برمز من رموز الثورة والفداء والتضحية ضد الظلم والطغيان وهي "كربلاء" حيث استشهاد الأمام الحسين عليه السلام في واقعة الطّف .

الأستفــهام

وهو الأسلوب المسؤول عن طرح الأسئلة ، وان لم تكن هذه الأسئلة موضحة بأدوات استفهام (وأن من أهم قضايا الشعر صنع السؤال والتحريض عليه لتكريس حا لـة الأدهـاش عند الأنسان) (١٤) . والسؤال في الشعرتعبير عن دهشة الشاعر وقلقه أزاء الوجود ، والزمن ، والشاعر يبصر من خلالها طريقه وسط الذهول ، والأستلاب النفسي ، ويبحث عن طريقة يحاول من خلالها أن يزيح الظلال عن الأشياء ، والأحداث والشخصيات .

و الأستفهام في ديوان أحمد مطر كثير ، فقصائده مزدحمة بالأسئلة التي توحي بالأستنكار والسخرية ، والتعجب ، والنفي [١٥] ، وكلها تفضي الى الرفض ، والتمرد على الواقع المؤلم الذي يُعد قضية الشاعر الأساسية .

انّ ارتباط الشاعر بقضيته ، ومكابدات الغربة ، وأحلام العودة كلها تقف وراء بنية الأستفهام في شعر أحمد مطر ، فهو يلوذ به معبرا عن رفضه واستنكاره وتعجبه ، ومرارة شعوره ، فمظاهر الحياة المريرة ، والواقع الاجتماعي البائس ، (الفقر والقهر والجوع) والأقصاء ، والتهميش ، وتسلط الحاكم الجائر ،واستسلام الشعب وخنوعه ، كلها مواضع استفهام وتساؤل لا يبحث الشاعر عن أجوبة لها ، بل يكفيه أن يحرك الوعي للتفكير بالأسئلة ، فهو يسأل ليستنكر الواقع ، ويسأل ليسخر من الواقع ، ويسأل لينفي ويتحدى .

لقد جاء استعمال أحمد مطر لأسلوب الاستفهام في شعره من خلال أدواته التي أحسن اختيارها وتوظيفها لحالة الرفض ، والتمرد التي غدت قضيته الأساسية . كما ذكرنا . استعمالا متنوعا د لّ كلّه على الرفض ، والثورة ، والتمرد سواء ما كان منه دالا على الاستنكار ، أو التعجب أو السخرية ، والتحسر ، والنفي ، والتوبيخ ، والوعيد ، والتحقير .

الأستفهام في عنوانات القصائد وبداياتها

لعل من أهم قضايا الشعر هو صنع السؤال أو التحريض عليه لتحقيق حالة الادهاش عند الانسان ازاء اسرار الكون والحياة ، واحمد مطر في شعره يواصل سعيه في البحث عن الحقيقة والكشف عن مصائر الاشياء ومكامنها ، انه علامة استفهام تثير الآخر وتحرضه على البحث عن جواب ، وربما تدفعه للوصول الى الصواب وتحقيق الصلاح بعد كشف الفساد والاشارة اليه وتحجيمه . لقد أخذ السؤال فضاءه الاكبر في شعر أحمد مطر حين صار عنوانا لبعض قصائده أو بداية استهل بها كلامه في قصائد أخرى ليؤكد السؤال استمراريته الشعرية ، وخصوبته الدلالية في مخيلة الشاعر ، وغالبا ما يتدفق السؤال في قصائد مطر بعفوية غير مقصودة في الخطاب الشعري ، فيكون جزءا من مكونات الوعي الشعري ، وعمق الاحساس بالحيرة والذهول والدهشة لدى الشاعر

لقد ورد الأستفهام في ديوان أحمد مطر عنوانا لبعض قصائده مما أوحى ـ كما ورد في السياق ـ الى تمرد واستنكار واضحين ، ورفض مؤكد . ومن تلك العنوانات : (أين المفر؟ ، فبأي الشعوب تكذبان ؟ ، أين نمضي ؟ ، من أنا ؟، كيف وأين ولماذا؟ ، كيف تتعلم النضال؟)

وكما جاء الأستفهام عنوانا لبعض القصائد ، فقد ابتدأ كثيراً من قصائده . بعد العنوان . بالأستفهام ، فجاءت الأشطر الأولى من القصيدة تساؤلات حائرة مستنكرة ، ساخرة ، متعجبة ، ويبدو أنه لجأ الى ذلك بغية وضع المتلقي في قلب التجربة ، وعمق المعاناة ومنذ مستهل القصيدة ، ومن هذه التساؤلات : (لمن نشكو مآسينا ؟ ، ممن ؟ ، لمن ؟ ، لماذا الشعر يا مطر ؟ ، كيف يصطاد الفتى عصفوره ؟ ، تريد أن

تمارس النضال ؟ ، نحن من أية ملّة ؟ ، أي قيمة للشعوب المستقيمة ؟ ، هل وطنٌ هذا الذي حاكمه مراهن وأهله رهائن ؟ ، أنا مالي ؟ ، ما تهمتي ؟ ، كم تعاني ؟ ، من أنا ؟ ، مم نخشى ؟ ، كم على السيف مشيت ؟ ..... والخ .....) .

لقد تعددت صيغ الأستفهام وأدواته في شعر أحمد مطر ـ وحسب طبيعة المعنى الأعمق للسؤال ـ بين أسئلة كونية عن الوجود الأنساني ، وأسئلة في قضايا الأنسان ومعاناته ، وواقع الشاعر الذي يعيشه .

ففي قصيدة : "دعوة للخيانة" يوظف الشاعر الأداة " هل" ليستنفذ احساسه بالدهشة ، والتعجب الذي يفضي الى انكار وضع مقلوب ، ورفضه رفضا تاما . لقد تأكدت بنية الرفض في شعر أحمد مطر من خلال الأستفهام بكل أدواته ، وهو في هذا النص يرفض ويستنكر أن يكون الوطن وطنا حينما يكون حاكمه مراهنا ، وأهله رهائن ، اذ يقول : (١٦)

هل وطنٌ هذا الذي
حاكمه مراهن ، وأهله رهائن ؟
هل وطن هذا الذي
سماؤه مراصدٌوأرضه كمائن ؟
هذا الذي
هواؤه الآهات والضغائن ؟
هذا الذي
أضيق من حظيرة الدواجن ؟
هل وطن هذا الذي
تكون فيه عندما
تكون غير كائن ؟!

وتأتي" كم" للتساؤل عن المقدار العددي ، وقد لجأ اليها الشاعر في هذا النص للدلالة على التكثير ، والتعظيم والتهويل لحالة الظلم والقهر والمعاناة ، وبتكرارها في النص توحي الى تراكم حالات القهر والظلم ، والمعاناة ، ومن ثم تعطي تصورا واضحا لحجم المعاناة التي تجاوزها الشاعر كلها محاولا بث روح التحدي ، والتمرد في نفس المتلقي ، يقول : (١٧)

كم على السيف مشيتْ
كم بجمر الظلم والجور اكتويت
كم تجملت من القهر
وكم من ثقل البلوى حويت
غير أني ما انحنيت
كم هوى السوط على ظهري

وكم حاول أن أنكر صبري
فأ بيتْ

ويحرر الشاعر أداة الأستفهام "أين" من دلالتها الوضعية ، ويدفع بها الى الأستنكار ، والتعجب رافضا من خلالها الواقع المر لشعب بأكمله ، اذ يقول : (١٨)

زار الرئيس المؤتمن
بعض ولايات الوطن
وحين زار حينا
قال لنا :
هاتوا شكاواكم بصدق في العلنْ
ولا تخافوا أحدا .. فقد مضى ذاك الزمن .
فقال صاحبي حسن :
يا سيدي
أين الرغيف واللبن ؟
وأين تأمين السكن ؟
وأين توفير المهن ؟
وأين منْ
يوفر الدواء للفقير دونما ثمن ؟

ويدفع الشاعرالأستفهام الى فضاء التعجب والدهشة من خلال الأداة "كيف" فهو يستنكر ويستبعد حالات رصدها يصعب تحقيقها من خلال واقع قاس مرير ، وهو هنا يسأل عن الحال من خلال أداة الحال "كيف" ، ولابد أنّ سؤاله عن تحقيق المستحيل في واقع مستحيل يفضي الى انكار الحال ، والتمرد عليه ، والتحريض ضده ، يقول : (١٩)

كيف يصطاد الفتى عصفوره
في الغابة المشتعلة ؟
كيف يرعى وردةً
وسط ركام المزبلةْ
كيف تصحو بين كفّيه الأجابات
وفي فكيه تغفو الأسئلة ؟

ويحسن الشاعراختياره لأداة الأستفهام اختيارا دقيقا ليعبر عن مرارة أحساسه ، وامتعاضه من الواقع المؤلم ، ولاسيما اذا تعلق هذا الواقع بالوطن . قضية الشاعر الأولى . ومكابدات الغربة ، واحلام العودة .

لقد كشف الشاعر عن احساسه بضياع الوطن ، وضياعه في المنفى ، ومعاناته الأبدية بعيدا عن وطنه من خلال الأستفهام بـ "أي " مرة ، و "كيف" أخرى ، وتكرارهما مما يوحي بتعاقب دلالات الغربة والمعاناة في قصيدته " يسقط الوطن " أذ يقول : [٢٠]

(أبي الوطن)
(أمي الوطن)
(نموت كي يحيا الوطن)
.....
أي وطن ؟
الوطن المنفي ..
أم منفى الوطن ؟ !
أم الرهين الممتهن ؟
أم سجننا المسجون خارج الزمن ؟ !
(نموت كي يحيا الوطن)
كيف يموت ميّت ؟
وكيف يحيا ما اندفن ؟ !

ويظل السؤال عند مطرموحيا بالرفض ، والسخرية من واقع سياسي مرير ،مظاهره غريبة تثير التساؤل ، وتبعث الدهشة والتعجب . يقول في قصيدته "تساؤلات" ، ويلاحظ أنّ العنوان هو علامة استفهام كبيرة تتبعها تساؤلات ، وفي ذلك تأكيد واصرار على الرفض والأستنكار والسخرية . يقول : [٢١]

كيف سندخل حربا هذي المرّة
ما دامت أمتنا الحرّة
تُنجب عشرة أبطالٍ
كي تقتل منهم عشرة ؟
كيف سنجني ثمراً
والبذرة ما زالت بذرة ؟
كيف سنجني شهداً
والبذرة في يدنا مرّة ؟
يا وعد الله .. ويا نصره
كيف ستسلم هذي الجرّة..
ما دام الأنسان لدينا
يولدُ يحمل قبره ؟ !

وحين تحاصره المحن يشعر "مطر"باليأس والحيرة ، وحين يصعب عليه التواصل مع الآخرين ، وحين يعجز الآخرون في التواصل يتساءل بمرارة وحسرة مبررا حالة الأنفصال والتفرق الجماعة ، وهو في كل ذلك يستنكر الأسباب، وهي عنده (الحاكم والخفير)فيرفضها ويتمرد عليها بأسلوب ساخر . يقول في قصيدة : " طلب

انـــــــــت انتمـــــــــــاء انتماءانتمـــــــــــاء للعصـــــــــــر الحجـــــــــــري " [٢٢]

ا

من أي طريق نأتيكم
لوأحسسنا بالتقصير ؟
في أي دروب سنسير ؟
في أي بحار سنحير ؟
في أي سماء سنطير ؟
الأرضُ كلابٌ نابحةٌ
والأرض كلابٌ سابحةٌ
والجو جهاز تقاريـر !
من أين سنأتي وخفير
ما بين خفير وخفيـر؟

أسلوب الأمـــر

وهو أحد أساليب الجملة الأنشائية ، ويتميز بأنه لا يتقيد بمعيارية التركيب النحوي "وأنما تنزاح فيه اللغة من صيغ الأمر الحقيقي الى اتجاهات جديدة كما تقول الدراسات الأسلوبية ، فلا يقتضي الألتزام بتنفيذ الطلب المضمن في الجملة على وجه الأيجاب ، وأنما يخرج المعنى من القرائن الدالة في السياق ، ولهذا قد يعبر فيه عن معنى حاصل قبل الطلب ، وهذا يقربه من الأنشاء غير الطلبي في الدلالة " [٢٣].

ويعد أسلوب الأمر في ديوان أحمد مطر من الأساليب المهمة التي يعتمدها في تحديد بنية الرفض وتأكيدها ، والتحريض والتمرد على الواقع في شتى المجالات ، فقد ارتبط الأمر عنده بالرفض من خلال دلالته على التهكم والسخرية والتحدي ، والتعجيز ، والتمني ، والتهديد ، والأنكار ، والأهانة ، والتحقير .

وفي قصيدته "الغريب" يوجه" مطر" الأمر الى الشعر ليجعل منه اسلوبا للتحريض والتمرد على الفساد والظلم ، فيقول : [٢٤]

أيّها الشعر لقد طال الأمد
أهلكتني غربتي ياأيّها الشعر .
فكن أنت البلد .

نجني من بلدةٍ لا صوت يغشاها
سوى صوت السكوت !
.....
ذ رّ صوتـي أيّها الشعر ، بروقا
في مفازات الرّمد
صُبّه رعدا على الصّمت
ونارا في شرايين البَرَدْ .
ألقه أفعى
الى أفئـدة الحكام تسعى
وافلـق البحر
واطبقه على نحر الأساطيل

وفي قصيدة أخرى بعنوان "صاحبة الجهالة" وظف الشاعر صيغة الأمر من خلال أفعال أحسن الشاعر في اختيارها لتدل على القمع والترهيب والأذلال (اجتنب ،خفف ، احذف) توظيفا يوحي بالظلم والكبت ، فجاءت في سياق يوحي بالتهكم ، والرفض الساخر لممارسات قمعية تتبناها الصحافة المتخاذلة التي لا تلبي الاّ رغبات المسؤولين . يقول فيها : [٢٥]

قلّب المسؤول أوراقي وقال :
اجتنب أيّ عباراتٍ تثير الأنفعالْ .
مثـلاً :
خفّف (مآسي)
لمَ لا تكتب (ما سي) ؟
أو (مواسي) ؟
أو (أماسي) ؟
شكلها الحاضر أحراجٌ لأصحاب الكراسي !
أحذف (الأعزل) ..
فالأعزل تحريض على عزل السلاطين
أحذف (المدفع)
كي تدفع عنك الأعتقال .
.....
أحذف (الأرباب)
لا ربّ سوى الله العظيم المتعال !

وهكذا يلاحظ أنه كرر أفعال الأمر لفظا ومعنى امعانا في السخرية ، والرفض والامتعاض من سلوكيات السلطة تجاه المواطنين .

انّ ارتباط أسلوب الأمر بالسخرية والرفض واضح جدا في ديوان الشاعر أحمد مطر ، ومن خلال دلالته المجازية التي وردت في السياق الشعري { فالتهكم والسخرية أسلوب مجازي يأخذ دلالته من فعل المخاطب في استقباح نتائجه ، والتذمر منه } [٢٦] . وفي قصيدة "حكمة الشيوخ"

يتوجه الشاعر "المتكلم" الى المخاطب ،وهو الشعب العربي المهان الغافل من خلال أفعال الأمر وبأسلوب ساخر يأمره أن يصالح ، ويصافح ، ويعفو عمن آذاه ، وأساء اليه ، فلا بأس ان ذبح الأبناء ، وهتك الأعراض ، وسفك الدماء ، فكل ما فات مات ، يقول : [٢٧] .

صالحوه .
مات ما فات ،
وما خرّبه يمكنكم أن تُصلحوه .
هو انسان وقد أخطأ ،
والدّور عليكم .. صححوه .
ليس الاّ كلمةٌ ..
قولوا : صفحنا
واذا لم تستطيعوا ..
صا فحوه !
أنا أدري ..
كلّ شيء واضح لا تشرحوه .
هو قد خسّركم
فاغتنموا فرصتكم
واجتهدوا أن تربحوه !
دمكم في يده ؟ لا بأس ..
هاتوا خرقةً مبلولةً
ثمّ امسحوه ! ..

ومن يراجع النص يدرك تماما أنّه يتضمن سخرية مريرة من واقع الذل والخنوع والأنقياد السهل الذي آل اليه الشعب العربي من شرقه الى غربه .

وفي قصيدة "خذ وطالب " التي جاء عنوانها على صيغة الأمر ، حشد الشاعر فيها كمّاً متتابعا من أفعال الأمرالتي تكرر بعضها مفصحا عن سخرية مريرة ، وتحقير لشعب مهان اعتاد الذل ، والخضوع ،

وتبدو المفارقة واضحة من تلاعب الشاعر بأفعال الأمر وايرادها ضمن سياق الجملة الشرطية ، مما ساعد في ابراز جانب المفارقة فيها ، يقول : [٢٨]

خذ ... وطالبْ
هذه الأكوان لم تُخلق بيومٍ
وعلى هذا فأنّ الصبر واجبْ
كنْ سياسيا مع الأعداء
راوغهمْ بضبط النفس
طأطئ ، وتجرّد ، وانبطح ، وارفع ،
وحاسبْ .
فأذا قصّوا لك اللحية
طالبهم بتنتيف الشوارب .
واذا هم نتفوا الأهداب
طالبهم بأخفاء الحواجب
واذا ألغوا لك الخصية
طالبهم بتعطيل الحوالب
واذا شقّوا لك السروال
طالبهم بتقطيع الجواربْ
واذا حطوا على ظهرك سرجا
أقبل السرج .. وطالبهم براكب

ووصايا أحمد مطر صيغتها أمر ، فهي لون من النصح والأرشاد ممزوجا بالسخرية والاستهزاء ، وربما الأهانة والتحقير ، وله من كل ذلك هدف واحد ، وهو رفض سياسة الحكام واستنكارها تجاه الشعوب المستضعفة بأسلوب ساخر قوامه فعل الأمر الوارد ضمن مفارقة تفضي الى سخرية مرة ، يقول في قصيدة : " الوصايا " . [٢٩]

عندما تذهب للنوم
تذكّرأنْ تنام
كلّ صحو خارج النوم
حرام !
وخذ الفرشاة والمعجون
واغسل
ما تبقى بين أسنانك من بعض الكلام

.....
قبل أن تنوي الصلاة
اتصل بالسلـطا تْ
واشرح الوضع لها
لا تتذمر
وخذ الأمر بروح وطنية
يا صديق
خطرٌ أي اتصال
بجهات خارجية !

ولعل أروع توظيف ساخر لأفعال الأمر جاء في قصيدته : " ربّ ساعدهم علينا " ، فهي صرخة ساخرة ، ونقد لاذع للحكام العرب الذين رفضهم الشاعر ، ورفض سياساتهم ، وحرّض قارئه عليهم بأساليب متنوعة . يقول : (٣٠)

أدعُ للحكام بالنصر علينا
يا مواطن ،
واشكر الله الذي ألهمهم موهبة القمع
وأبداع الكمائن
قل : ألهي أعطهم مليون عين
أعطهم ألف ذراع
أعطهم موهبةً أكبر
في ملء الزنازين وتفريغ الخزائن !
ربّ ساعدهم علينا
فهم اثنان وعشرون ريفا مخلصا حرا ،
وأنّا ياألهي
مئتا مليون خائن

ظاهرة التكــرار

يعد التكرار من الظواهر الاسلوبية التي تستخدم لفهم النص الأدبي وقد درسها البلاغيون العرب وتنبهوا اليها عند دراستهم الشعرية والنثرية ، وبينوا فوائدها ووظائفها (٣١)

التكرار في الأصطلاح هو أعادة اللفظة أو التركيب لأكثر من مرة في سياق واحد ، أما للتوكيد أو لزيادة التنبيه، أو للتهويل أو للتعظيم أو للتلذذ بذكر المكرر (٣٢).

والتكرارظاهرة من ظواهر الشعر الحديث تمتد جذورها الى التراث الشعري القديم ، فقد أكد "ابن سنان الخفاجي " في كتابه : "سرّ الفصاحة" الى ولع الشعراء والكتاب بتكرار الألفاظ [٣٣]

ويلاحظ أنّ التكرارليس مجرد تكرار للفظة في السياق الشعري ، بل لما يتركه من أثر انفعالي في نفس المتلقي ، وقبل ذلك وسيلة يتخذها الشاعر للتخفيف من حدّة الصراع والأرهاصات التي يواجهها في حياته سواء أكانت داخلية أم خارجية . ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة التكرار داخل النص الشعري الذي ورد فيه ، فكل تكرار يحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعري .

وتتشكل ظاهرة التكرار في الشعر العربي بأشكال مختلفة متنوعة فهي تبدأ من الحرف وتمتد الى الكلمة والى العبارة والى بيت الشعر ، وكل شكل من هذه الأشكال يعمل على ابراز جانب تأثيري خاص للتكرار ، كما أن الجانب الايقاعي في الشعر قائم على التكرار ، فالايقاع ما هو الا أصوات مكررة وهذه الاصوات المكررة تثير في النفس انفعالا معينا " وللشعر نواح عدة للجمال أسرعها الى النفوس ما فيه جرس الألفاظ وانسجام توالي المقاطع وتردد بعضها بقدر معين وهذا ما نسميه بموسيقى الشعر "(٣٤)

ويشكل التكرار حضورا واضحا في شعر أحمد مطر ، وقد تشكلت في ديوانه ضمن محاور متنوعة وقعت في الكلمة والجملة وتكرار البداية ، وتكرار اللازمة ، وقد ظهر في شعره بشكل واضح ، وشكل ايقاعات موسيقية متنوعة أثرت في نفس المتلقي ، أذ أن الشاعر أودع تكراره مشاعره وانفعالاته الخاصة ، والمعبرة عن موقفه تجاه القضايا المهمة في الحياة .

لقد وجد أحمد مطر في التكرار غايته وطموحه ـ ولذلك لانجد قصيدة في ديوانه تخلو من التكرار ـ فقد ثار على الواقع السياسي ، والأجتماعي ، ونقده وسخر منه وكان التكرار أحد وسائله المهمة لذلك .

لقد جعل أحمد مطر من تكرار الألفاظ (أفعالاً وأسماءً) قوة فاعلة لأيقاظ الحس القومي والثقافي لأبناء عصره ، ودفعهم للرفض والمخالفة والتمرد ، ففي قصيدته : " نهاية مشروع " يسخر من مشروع الأنتخابات في البلاد العربية ، ويعريها من المصداقية والنزاهة ، يقول : (٣٥)

أحضر سلّةْ
ضعْ فيها " أربع تسعاتْ "
ضع صحفا منحلّة
ضع مذياعا
ضع بوقا ، ضع طبلة
ضع شمعا أحمر
ضع حبلا
ضع سكينا

ويلاحظ أنه جعل من فعل الأمر- على ما فيه من دلالة على الأمتثال لأمر ما - حدثا فاعلا يستوعب جزئيات الفكرة ، ويعبر عنها من خلال تكراره في جوف السياق الساخر المتهكم .

ولكي يعطي الشاعر بعدا لمأساة " الأعدام " يعمد الى تكرار الفعل "يعدم" ، وبهذا يعطي عملية الأعدام حجما مأساويا مؤثرا ، ويبدو الشاعر من خلال ذلك رافضا لهذا السلوك السلبي الذي طالما رزح الشعب العربي تحت وطأته . يقول في " الأمل الباقي " (٣٦)

غاص فينا السيفُ
حتى غصّ فينا المقبضُ
غصّ فينا المقبضُ
غصّ فينا

ونستطيع أن ندرك معاناة الشاعر وألمه وغصّته من خلال تكرار العبارة " غص فينا"التي بدت صرخة هادرة وبدأت تتلاشى شيئا فشيئا ، وفي نهاية المقطع يكرر الفعل "يعدم" مقرونا كل مرة بشخصية جديدة حتى يعم الأعدام كل فئات الشعب ، وفي ذلك سخرية مرة واستنكار لساسة هدفها دام شعب بأكمله . يقول :

غير أنّا منذ أن نولد نأتي نركض
والى المدفن نبقى نركض
وخطى الشرطة من خلف خطانا تركض !
يعدم المنتفض
يعدم المعترض
يعدم الممتعض
يُعدم الكاتب والقارئُ
والناطق والسامعُ
والواعظُ والمتعظُ !

وتعلو همة الشاعر وحزمه من بين حالات اليأس والخضوع فيعلن صرخة مدوية يجسدها تكراره للفعل "أحشد" على ما فيه من معنى التهيؤ والوثوب للثورة .

يقول : (٣٧)

اذا أودى بي الضجرُ
ولم أسمع صدى صوتي
ولم ألمح صدى دمعي
برعدٍ أو بطوفانِ

سأحشد كلّ أحزاني
وأحشد كلّ نيراني
وأحشد كلّ قافيةً
من البارود
في أعماق وجداني

ويركز أحمد مطر في تكراره على الجملة الفعلية ، أكثر من الجملة الأسمية ، لأنها أكثر قدرة على التأثير والتغيير ، وأكثر قدرة على استيعاب الأحداث التي يعيشها الشاعر ، فالفعل يدل على الحدوث والتجدد فقد جاء في (نهاية الأيجاز) " أن الاسم له دلالة على الحقيقة دون زمانها ، وأما الفعل فله دلالة على الحقيقة وزمانها . وكل ما كان زمانيا فهو متغير ، والتغيير مشعر بالتجديد ..... " (٣٨)

ففي قصيدة : " انهيار المملكة " يكرر جملة "كبرت دائرة المأساة" ويلاحظ أن معنى الجملة يوحي بمأساة متنامية تكبر يوما بعد آخر . يقول : (٣٩)

ياواهب مملكة العقل
مملكتي سقطت في الوحل .
يدها تتشبث في كفّي
تهتف : هاتْ .
والقاتل يهتف : هيهاتْ .
كبرت دائرة المأساة
كبرت دائرة المأساة
كبرت ..
كبرت ..

فبتكرارجملة " كبرت دائرة المأساة" تكبر مأساة الشاعر ،ويصبح حجمها أكبر ، وتأثيرها أكبر ، وانفعالنا معها أكبر ، فضلا عن أن الفعل "كبر" أفصح عن حجم احساس الشاعر ، وامتعاضه من عظم المأساة .

وآهات الشاعر تتراكم مع تكرار "آه" في النص فتفصح عن حسرته المريرة ، واستنكاره لصمت الشعب وتغاضيهم عن الحق ، فيدرك أنْ لا جدوى للنصيحة في أمة ماتت فما عاد للكلام نفع ولا ضر . يقول في " آه لو يجدي الكلام" ، ويلاحظ أنه يبدأ بتكرار فعل النوم : "تنام" يعني الجماهير العربية ،اذ يقول : (٤٠)

الملايين على الجوع تنام
وعلى الخوف تنام
وعلى الصمت تنام

وبعد أن أكد حالة النوم التي أضحى عليها الشعب ، تأتي صرخة الشاعر المستنكرة لهذه الحالة ومن خلال التكرار ، اذ يقول :

آه لو يجدي الكلامْ
آه لو يجدي الكلامْ
آه لو يجدي الكلامْ
هذه الأمة ماتت
والسلامْ !

ويكثر تكرار الأسماء ، والجمل الأسمية في ديوان أحمد مطر ، وهو من خلال تكرار الأسماء لم يكن معنيا بالشخص المسمى ، انّما بقيم ومبادئ يمثلها ذلك الأسم ، فهو لا يبحث عن مفرد أو كيان ، وانّما عن قيمة ما يوحي به ذلك الأسم وما يرمز اليه . وفي قصيدة "الحصاد" كرر الشاعر لفظة " أمريكا" ست مرات مقترنة بلفظة "كلب" الذي يرمز بدوره للحاكم المستبد ، بينما تصلح أمريكا ان تكون رمزا للأستعباد والتسلط . يقول : (٤١)

أمريكا تُطلق الكلب علينا
وبها من كلبها نستنجدُ !
أمريكا تطلق النار لتنجينا من الكلب
فينجو كلبها .. لكننا نُستشهدُ !
أمريكا تُبعد الكلب .. ولكنْ
بدلا منه علينا تقعدُ !

وغالبا ما يوحي تكرار الأسماء في ديوانه بالمرارة والأسى ولاسيما اذا كان اللفظ المكرر "وطن"وما يحمله من دلالات جعل منها الشاعر قوة فاعلة لأيقاظ الحس القومي لأبناء شعبه ، وبعث الهمة في نفوسهم والتبصر بالواقع وكشف زيفه . يقول في:"يسقط الوطن" : (٤٢)

(أبي الوطن)
(أمي الوطن)
(رائدنا حب الوطن)
(نموت كي يحيا الوطن)
ياسيدي انفلقتُ حتى لم يعُدْ

للفلق في رأسي وطن
ولم يعد لدى الوطن
من وطن يؤويه في هذا الوطن !
أي وطن ؟
الوطن المنفي ..
أم منفى الوطن ؟ !

فالوطن قيمة ومعنى يسعى الشاعر أن يكون محركا للشعور ، ودافعا للنهوض والتحدي أمام من يحاول الأضرار به ، ولذا فقد كرره ثلاثين مرة في النص .

لقد كان الوطن المحرك الأساس للشعراء الرافضين والمتمردين ، وعندما تتعلق القضية بالوطن يختفي كل صوت خلاف الصوت المعبر عن وطن يرزح تحت حكم الطغاة ، هنا يكون صوت الشاعر هو الأقوى والأعلى . لقد عشق أحمد مطر وطنه ولم يكن نفيه وابعاده عن وطنه إلا نتيجة عشقه له ولم يكن ذنبه إلا الدعوة لتغيير الواقع المرير الذي ينغمس فيه هذا الوطن الذي أحبه بل عشقه (٤٣)

ويلاحظ نبرة الحزن تتغلغل بين سطور شعره حين ذكره للوطن وما ذاك الا امتداد فترة الغربة والبعد عن الوطن فكانت لوعة الفراق وشدة الحنين مصحوبا بنقمة ودعاء على أولئك الذين كانوا سببا في ابعاده ونفيه عن وطنه . وقد يكرر الشاعر المفردة التي ترمز الى الحاكم العربي سبع عشرة مرة في قصيدة واحدة لتخدم الفكرة التي يرمز اليها الشاعر . يقول وقد شن هجوما على وسائل الأعلام ناقدا وساخرا ، متهما اياها بالتواطئ ، والتبعية والجبن ، وانتفاء المصداقية ، وغياب الضمير والشرف : (٤٤)

اعلامنا فنان
بلمسةٍ سحريةٍ يختزل الأوطان
ويوجز السكان
ويكبس الأزمان
ويحقن الجميع في كبسولةٍ
يدعونها : محقان !
محقان ..
يغادر البلاد في رعاية الرحمن .
محقان ..
يعود للبلاد في رعاية الرحمن .
محقان ..
يجلس في الديوان .
محقان ..

يمسك بالفنجان .

محقان ..

انّ الحاح الشاعر على عبارة ما يكشف عن مشاعر دفينة ، ورغبة في رفض واقع ما ، فهو يكتب من فيض الروح ، ويشير بوضوح الى هوامش تنتابه بطريقة الايحاء البعيد معتمدا على امكانات اللغة الشعرية وطاقاتها . وقد أدرك "بالي" أهمية هذا الجانب في اللغة عندما فهم الأسلوبية على أنها (علم الوسائل اللغوية من زاوية نظر وظيفتها الأنفعالية والتأثيرية) (٤٥)

وفي قصيدة: "وقفة تاريخية" يأتي تكرار لفظة "طبول" موحية باللاشيء ، وبالخواء والعدم : (٤٦)

حكامنا طبولْ

جيوشنا طبولْ

شعوبنا طبولْ

وسائل الأعلام في أوطا ننا طبولْ

غفوتنا تأتي على قرقعة الطبولْ

صحوتنا توقظها قرقعة الطبولْ

طعامنا تطبخه قرقعة الطبولْ

شرابنا ينبع من قرقعة الطبولْ

فتكرار"طبول"في النص نقد واضح ، وتمرد صارخ على واقع رفضه الشاعر ، وسخر منه بشدة والحاح عبر تكراره لفظة "طبول"التي كشفت عن الفكرة المتسلطة على الشاعر ،{فالتكراريضع في أيدينا مفتاحا للفكرة المتسلطة على الشاعر ، وهو بذلك أحد الأضواء اللاشعورية التي يسلطها الشعر على أعماق الشاعر فيضيئها بحيث نطلع عليها } (٤٧)

التكرار في بدايات القصائد

استعمل الشعراء التكرار في مواقع متنوعة من القصيدة ،في بدايتها ، ووسطها ، ونهايتها ، ويأتي تكرار السطر الشعري في بداية المقاطع ـ كما أشارت نازك الملائكة ـ متيحا للذهن توقدا ، ليس شكليا وحسب ، بل نفسيا كذلك (٤٨)

ويلاحظ ورود تكرار الأسطر الأولى في بدايات القصائد عند أحمد مطر كثيرة ، ومكثفة تكشف عن نزعة الأسى والتحسر ، والأشفاق الكامنة في نفس الشاعر ، كما وتعكس الأنطلاقة القوية عند الشاعر .

انّ تكرار البداية في ديوان أحمد مطر تفصح عن ذات متوترة مضطربة ، ونعتقد أنّ تكرار البداية يعني (البداية القوية المكثفة للأنطلاق والتحرروالقوة والتمرد ، وهي صرخته القوية أمام الجهل والتخلف والفساد) (٤٩). وبذلك يكون هذا اللون من التكرار أكثر فاعلية من سواه ، ففي قصيدة "سلاح بارد" يكرر الشاعر أسلوب النداء "ياأيها" ليكون بمثابة وسيلة لأستيعاب وتخفيف هموم الشاعر : (٥٠)

ياأيّها الأنسان
يا أيّها المجوّع المخوّف المهان
ياأيّها المدفون في ثيابه
يا أيّها المشنوق من أهدابه
يا أيّها الراقص مذبوحا
على أعصابه
يا أيّها المنفي من ذاكرة الزمانْ
شبعت موتا فانتفضْ

أنه يدرك أن الانسان في كل بلاد العرب يعاني كما يعاني هو ، فكرر البداية " ياأيها الأنسان" مع ومرة "منفي" وبهذا كشف عن حقيقة هذا الأنسان وبؤسه داعيا لمؤازرته، رافضا مصيره البائس

وفساد الحكام العرب يأتي في مقدمة اهتمام أحمد مطر ، فقد تمرد عليهم ، ورفضهم جملة وتفصيلا، ووظف كل أساليب الشعر لتعزيز هذا الرفض واظهاره واضحا جليا ، وتكرار البداية صرخة قوية في وجه الحاكم الذي لن يبرأ من ذنب الشعوب . يقول في قصيدة "ربما" : (٥١)

ربّما الزاني يتوبْ
ربّما الماء يروبْ !
ربّما يُحملُ زيتٌ في الثقوبْ !
ربّما شمس الضحى
تُشرق من صوب الغروبْ !
ربّما يبرأ ابليس من الذنب
فيعفو عنه غفار الذنوب !
انّما لا يبرأ الحكام
في كل بلاد العرب
من ذنب الشعوبْ !

ويفصح الشاعر عن رفضه ، وانكاره للنفاق الذي كان سبيل بعض الشعراء في التعامل مع الآخرين ، ولكن على حساب انسانيته وكرامته . يقول في قصيدته" لن انافق" ويلاحظ ان عنوان القصيدة يوحي بنوع من التواصل بين العنوان والبداية التي كانت تكرارا للفظة "نافق" : (٥٢)

نـافقْ
ونـافقْ
ثمّ نافق ، ثمّ نافقْ .
لا يسلم الجسد النحيل من الأذى

ا نْ لم تنافق
نا فقْ

فقد كثف النفاق مرة حين استهل به كلامه ابتداءً من عنوان القصيدة ، وأخرى بتكراره الذي منحه صرخة مدوية ، وأخرى بمجيئه على صيغة الأمر الذي خرج للسخرية والتهكم ، وهو بكل هذا رفض واضح ، وتمرد ساخر .

كما لجأ الشاعر الى تكرار أدوات الأستفهام ليكشف عن حيرته ، وقلقه من المصير والوجود ، كما ويعبر عن غربته ، ورغبته في البحث عن عالم آخر تسوده حرية الكلمة والرأي .لقد أجاد الشاعر في طرح أسئلته بغض النظر عن الاجابة عليها ، فالجواب لايتاح دائما وثمة أسئلة ليس لها أجوبة بقدر ما لها من توسعة في فضاء الانزياح الشعري ليبقى السؤال مفتوحا على افق التأويل لدى المتلقي ، لقد أجاد مطر في جعل أسئلته شعرية بما يكفي لتحفيز الاستجابة الباحثة عن الشعر في السؤال والمستيقظة مع اسئلته المباغتة ، لقد أوجد الشاعر علاقة سؤالية بينه وبين قارئه . وقد أصبح السؤال موضوعا وغاية لدى مطر يدور في فلكها الخطاب الشعري وليس مجرد وسيلة .

يقول في " حوار على باب المنفى" (٥٣)

لماذا الشعر يا مطر ؟
أتسألني
لماذا يبزغ القمرُ ؟
لماذا يهطل المطرُ ؟
لماذا العطر ينتشرُ ؟
أتسألني .. لماذا ينزل القدرُ ؟ !

فالشعر أداته لنشر الحق والنور والعدل ، وسلاحه المشرع في وجه الظلم والظلام ، انه اداة الرفض والتمرد والدفاع عن النفس ، لايسأل بعدها " لماذا الشعر " انه قدر وبديهة مثله مثل الفجر والقمر والمطر . ومن هنا تجسدت قوة السؤال عند الشاعر وحضوره اللامع في الفضاء الشعري لديه

وبتكرار اللفظ يعطي الشاعر بعدا خياليا لحجم المرارة وضخامتها ، حتى بدت آفة فتاكة أتت على كل شيء فأفسدته ، فلم يبق للصحيح مكانا في هذا العالم الموبوء . يقول الشاعر في قصيدته "لا ضير" التي عمد فيها الى تكرار لفظ "الغلط" ثمان مرات ابتداءً من بداية الكلام : (٥٤)

من فوق هامتي الغلطْ
وتحت رجلي الغلطْ
وعن يميني الغلطْ
وعن شما لي الغلطْ

ومن أمـامي الغلـطْ
ومن ورائـي الغلـطْ
في عالم من الغلـطْ
يصبح منتهى الغلـطْ
أن أستقيم في الوسـطْ !

انها ثورة على عالم كله "غلط" ، انه رفض لعالم معوج تصبح الأستقامة فيه منتهى الغلط ، وتكثيف الشاعر "للغلط" من خلال تكراره ، كشف لفداحة الأمر وخطورته ،ودعوة للتصحيح وحينها تصبح الأستقامة منطقية ولازمة من لوازم الوسط .

ظـاهـرة السـخـريـة

السخرية من الفنون الراقية والصعبة لما تحتاج اليه من ذكاء وفكر ، وامكانات خاصة لا تتهيأ لكل شاعر ، ولذلك عدّ ت من أصعب الفنون ، وهي سلاح خطير بأيدي الشعراء ، والكتاب بوجه الحكام والسياسات الظالمة المستبدة المتحكمة بمصائر الشعوب ، كما وتستعمل في نقد مظاهر الحياة المتنوعة من عادات وتقاليد ، وجهل وتخلف ، ونفاق .. الخ [٥٥]

والسخرية نوعان : سخرية حقيقية لا تعتمد الأيذاء ، وهدفها أثارة الضحك والمرح ، وسخرية مرّة لاذعة ،قاسية ، شديدة الوطأة ، أثرها بالغ وشديد على المتلقي ، تجعلنا نضحك بمرارة ويأس ، وتشعرنا بفداحة العيب [٥٦]

وأحمد مطر شاعر ساخر من من الدرجة الأولى سخريته من النوع الثاني ، وهي سخرية لاذعة وقاسية .

تمثل السخرية لدى أحمد مطر براعة ، ولعبة ذكية أحسن استعمالها ، وتوظيفها بوعي وادراك كبيرين حتى شكلت طابعا مميزا لأعماله الشعرية فعرف بأنه "الشاعر الساخر" .

أنّ سخرية أحمد مطر سخرية صنعتها ظروف حياته الخاصة ، صنعتها أحزانه ومعاناته ، فقد واجه منذ بداية حياته غربة وضياعا ، وتشردا ، حاول ان يقابله بالرفض ، والتحدي ، فكانت السخرية أداته وسلاحه لذلك ، سخريته أذن تمرد على واقع مؤلم ، وحزن عميق ، ورفض لسلبيات الحياة والمجتمع ، لذلك نجح في هذا الأسلوب ، وأجاد فيه كثيرا ، ولعل مقولة : (ان من يحسنون السخرية والأضحاك هم أشد الناس امتلاءً بالأحزان) مقولة تصح على أحمد مطر . (٥٧)

يقوم ديوان أحمد مطر على السخرية ، فأذا كان مجموع قصائد الديوان" ٣٣٨" فأنّ السخرية تنتشر في " ٣٢٠" قصيدة منها . [٥٨]، وقد تنوعت موضوعات السخرية في شعر أحمد مطر ، فمنها سخرية من الحكام والسيا سيين وسياساتهم ، وسخرية من رجال الأمن ، ومن الشعراء ، ومن الأعلام ، ومن الفساد

الأجتماعي ، ومن سياسة العرب تجاه فلسطين ، وكلها نقد لاذع لعيوب مستفحلة ، وشخصيات مستبدة ، حاول أن يشخصها رافضا لها ومتمردا عليها ، ثائرا ومحرضا على الوقوف ضدها ، والتصدي لها .

وأن تنوعت موضوعات السخرية عند مطر ، فقد تنوعت أساليبها ، فمنها ما اعتمدت مفارقة المفاجأة ، ومنها ماعتمدت التلاعب بالألفاظ ، ومنها ما اعتمدت قلب الحقيقة ، ومنها ما اعتمدت التمثيل الدرامي ، ومنها ما اعتمدت الصورة الكاريكاتيرية ، وهكذا . ولعل سخرية تلفت انتباه قارئ ديوان أحمد مطر هي : السخرية الكامنة في العنوانات ، أي عنوانات القصائد ، فقد اختار الشاعر لبعض قصائده عنوانات توحي بالسخرية اللاذعة ، وتبعث على الضحك لما فيها من تناقض في المفاهيم ، وانحراف عن المنطق ، ومنها على سبيل المثال : (صباح الليل أيها الوطن ، عزاء على بطاقة تهنئة ، الطب يضر بالصحة ، أقزام طوال ، القبض على مجنون ميت ، وصلة نضال شرقي ، ربّ ساعدهم علينا ، طلب انتماء للعصر الحجري .... الخ) ويلاحظ أن المفارقة في هذه العنوانات منها ما قام على تلاعب لفظي ، ومنها ما انقلبت فيه الحقيقة ، ومنها ما جاء على خلاف ما تعارف الناس عليه ، ومنها ما جمع بين المتناقضات ، وهكذا .

والسخرية في شعر مطر قوامها المفارقات ، والمفارقة هي جملة تحتوي على تناقض ظاهري أو حتى اعتباطي أحيانا لكن في البحث المتعمق في تلك الجملة توجد حقيقة توفق ما بين صراع المتضادات .

تعد المفارقات إحدى السمات الفنية في الشعر العربي المعاصر يستخدمها الشاعر لإبراز التناقض بين طرفين متقابلين بينهما نوع من التناقض ، والتناقض في المفارقة فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل ، والشاعر المعاصر يستغل هذه العملية في تصوير بعض المواقف والقضايا التي يبرز فيها هذا التناقض .

وللمفارقات في شعر أحمد مطر أساس فلسفي ، فحين نقرأ لافتات مطر نجد أن هناك ثيمة واحدة تغلب على معظم القائد فيها تلك هي صورة الدكتاتور وأشكاله وطريقة تعامله مع الشعب المغلوب على أمره ، وهذه الثيمة تنسجم تماما مع شكل البناء الفني لقصيدة الشاعر ، فهذه التقنيات جميعها تهدف الى استدراج القارئ الى نقطة يظن أنها نهاية القصيدة ، ولكنه يكتشف في النهاية ان الشاعر استغفله وأوصله الى نهاية غير النهاية الافتراضية ، وبهذا فقد مارس الشاعر الدور ذاته الذي يمارسه الدكتاتور .

. وقد تنوعت المفارقات في ديوانه تبعا لتنوع التقنيات المستخدمة لبناء هذه المفارقات ، وعلى هذا يمكننا أن ندرك منها ما يأتي : [٥٩]

مفارقة المفاجأة

وتبدو السخرية فيها نابعة من مفارقة اعتمدت تقنية المفاجأة ، إنها تقوم على مفاجأة في آخر القصيدة تخرجها عن السياق المنطقي المتوقع أو الطبيعي ، فتحدث صدمة في نفس المتلقي ، وهي من ثم

سخرية لاذعة هدفها تشخيص العيب ونقده نقدا لاذعا ساخرا ، ولا شك أن الشاعر- من وراء ذلك . هدفه الرفض والتمرد على واقع مؤلم طالما أزعجه فتفنن في رفضه ، والثورة عليه

ففي قصيدة " العائلة الكريمة " يسخر الشاعر من الأمم المتحدة ، ويستنكر أعمالها ، ويرفضها من خلال مفارقة طريفة اعتمدت تقنية المفاجأة في آخر بيت من القصيدة . يقول فيها : (٦٠)

لصديقي والدٌ منشغلٌ بالعربدةْ
يبدأ اليوم بطرح المال في البار
وينهيه بضرب الوالـدهْ
وأخٌ همّتهُ مشدودةٌ
بين البلاعيم .. وبين المعدةْ .
وأخٌ لم يدرس الطبّ .
ولكن له فناً بزرق الأوردةْ !
وابن عمٍ طيّب
يسطو على أمواله في كرمٍ
من غير أن يطلب منه (الفائدة) !
وله والدةٌ مقتصدة
تحفظ الصيف بثلاجتها
من أجل أيام الشتاء الباردة
وله ربّة بيتٍ ..
ربـةٌ في داخل البيت ،
وفي خارجه مستعبدة

وبعد أن يعطينا فكرة عن كل أفراد العائلة الكريمة . كما أطلق عليها ساخرا . ولكنها فكرة مقرونة بنقد وسخرية واضحتين ، اذا به يفاجئنا عن ماهية هذه العائلة قائلا :

باختصار
لصديقي أممٌ متحدة !

ويعلن استخفافه ، وسخريته من الحكام العرب من خلال مفارقة بنيت على صدمة نفسية هدفها نقد لاذع ، ورفض صارخ اتضحت معالمه في " اعتذار" إذ يقول: (٦١)

صحتُ من قسوة حالي :
فوق نـعلي
كلّ أصحاب المعالي !
قيل لي : عيبٌ

فكررت مقالي
قيل لي : عيبٌ
وكررتُ مقالي
ثم لما قيل لي : عيبٌ
تنبهتُ الى سوء عباراتي
وخففتُ انفعالي .

وكلنا يتوقع أنه لما تنبه على سوء عبارته ، حاول تخفيف انفعاله ثم شرع في تقديم اعتذاره لمن أساء بحقه ، فأذا به يقول :

ثم قدمت اعتذارا
.. . لنعالي !

ومرة أخرى يختتم الشاعر احدى سخرياته بمفاجأة تخرج الكلام عن سياق المنطق ، وتنحرف به بعيدا محدثة سخرية مرة يرفض الشاعر من خلالها الظلم والتسلط ،ة واستبداد الحكام ، فيقول في " الرجل المناسب " : (٦٢)

باسم والينا البمبجلْ
قرروا شنق الذي اغتال أخي
لكنّه كان قصيرا
فمضى الجلادُ يسألْ
رأسه لا يصل الحبل
فماذا سوف أفعلْ ؟
بعد تفكير عميق
أمر الوالي بشنقي بدلا منه
لأني كنت أطول !

ويلاحظ أن المفاجأة كانت مزدوجة ، فقد فوجئنا بأن الوالي أمر بشنقه بدلا عن أخيه ، ومن ثم تبرير ذلك الفعل " لأني كنت أطول " .

وفي : " الحاح " تأتي المفارقة حين يفاجئنا الشاعر ان العروبة ليست تهمة فحسب إنما تهمة وعقوبة ، وهو بهذا يسخر من العرب الذين أساءوا للعروبة ، وحملوها ما لا يليق بها ، ويسيئ الى كل من ينتسب اليها ، يقول : (٦٣)

. ما تهمتي ؟
. تهمتك العروبةْ .

. قلت لكم ما تهمتي ؟
. قلنا لك العروبة .
. يا ناس قولوا غيرها .
. أسألكم عن تهمتي ..
ليس عن العقوبة !

" يصبح اللّص رئيسا للبلاد " عبارة ختم الشاعر بها احدى لافتاته ، فكانت مفاجأة ساخرة ، هدفها نقد لاذع ، ورفض لشخصية الحاكم ، والطريقة التي وصل بها الى كرسي الحكم . يقول في " حالات " : [٦٤]

بالتمادي
يصبح اللّص بأوربا
مديرا للنوادي
وبأمريكا
زعيما للعصابات وأوكار الفساد
وبأوطاني التي ،
من شرعها قطع الأيادي
يصبح اللّص
... رئيسا للبلاد !

مفارقة الحقيقة المقلوبة

وتعتمد هذه المفارقة على تقديم حقيقة مغايرة للواقع ، ومخالفة للمنطق مما يحدث سخرية من واقع مألوف يبدو بعد حين مخالفا للمألوف .

فمن المعروف أن وظيفة المنبه الإيقاظ من النوم لبداية يوم جديد ، ولكنه يصبح مخالفا للواقع إذا ما صارت وظيفته عكس المألوف إمعانا في السخرية من حالة الركود للشعوب العربية . يقول في "يقظة" : [٦٥]

صباح هذا اليوم
أيقظني منبه الساعهْ
وقال لي : ياابن العربْ
قد حان وقت النوم !

وفي " اللغز" تصبح الحقيقة مقلوبة ، وفيها تكمن المفارقة ، فالشاعر يسخر من خلالها من الحالة البائسة التي آل اليها الوطن على يد أعداء الوطن . يقول : [٦٦]

قالت أمّي مرّة

يا أولاد ي
عندي لغز
من منكم يكشف لي سرّه ؟
(تابوتٌ قشرته حلوى
ساكنه خشبٌ ..
والقشرة
زادٌ للرائح والغادي)
قالت أختي : التمرة
حضنتها أمي ضاحكةً
لكني خنقتني العبرة
قلت لها :
بل تلك بلادي !

وتبدو الحقيقة مقلوبة حين يختلف الذنب والعقاب بين حالتين اختلافا تنقلب فيه الحقيقة ، فتحدث تناقضا يثير الدهشة ، ويبعث على السخرية اللاذعة من وضع بائس ، استهجنه الشاعر بطريقته . يقول في " الجزاء" : (٦٧)

في بلاد المشركين
يبصق المرءُ بوجه الحاكمين
فيجازى بالغرامة !
ولدينا نحن أصحاب اليمين
يبصق المرءُ دماً تحت أيادي المخبرين
ويرى يوم القيامة
عندما ينثر ماء الورد والهيل
- بلا إذنٍ -
على وجه أمير المؤمنين !

وفي " التقرير" تحدث المفارقة حين تنقلب الحقيقة ، فالحقيقة أن عظة الكلب تؤدي الى تسمم الأنسان ، وإصابته بداء الكلب ، والأنسان هو المتضرر ، وليس الكلب الذي صار في "لافتة"مطر مجنى عليه، إذ مات متسمما ، يقول : (٦٨)

كلبُ والينا المعظّم
عضّني اليوم ومات !

فدعاني حارس الأمن لأعدمْ !
بعدما أثبت تقرير الوفاة
إنّ كلب السيد الوالي
تسمّم !

مفارقة التلاعب بالألفاظ

وقد تتبع سخرية الشاعر المرقمن مفارقة قوامها التلاعب بدلالات الألفاظ ، كتلاعب الشاعر ببتين لصفي الدين الحلّي ، في " برقية عاجلة" ، يقول فيها : (٦٩)

سلوا بيوت الغواني عن مخازينا
واستشهدوا العرب : هل خاب الرجا فينا ؟
سودٌ صنائعنا ، بيضٌ بيارقنا
خضرٌ موائدنا ، حمرٌ ليا ليـنا

والسخرية واضحة ، ولا تحتاج الى توضيح ، ويكفي أن نستحضر أبيات الحلي لأدراكها ، وادراك التلاعب بألفاظ تلك الأبيات مما أدى الى المفارقة .

ومثلها المفارقة التي بنيت على التلاعب بألفاظ قصيدة الشاعر " ابو القاسم الشابي " الشهيرة التي طالما أثارت حماس الجماهير العربية ، يقول في " إرادة الحياة" (٧٠)

☹

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بدّ أن يُبتلى بالمرينـز
ولابدّ أن يهدموا ما بنـاه
ولابدّ أن يخلفوا الأنكلـيز
ومن يتطوع لشتم الغـزاة
يُطوّع بأولاد عبد العـزيز
فكيف سيمكن رفع الجبـاه
وأكبر رأسٍ لدى العرب طـ .....؟ !

ويكمن النفاق السياسي عند الحكام العرب بلعن أمريكا ، ولا جدوى من ذلك فهي بدعة مرفوضة يستنكرها الشاعر ، وينتقدها بالسخرية القائمة على المفارقة من خلال التلاعب بدلالات الألفاظ بالمجانسة . يقول في " قواعد " : (٧١)

بدعةٌ
عند ولاةُ الأمر
صارت قاعدة

كلهم يشتم أمريكا
وأمريكا
إذا ما نهضوا للشتم
تبقى قاعدة
فإذا ما قعدوا
تنهضُ أمريكا لتبني
قاعدة !

ولا شك أنّ التلاعب بالألفاظ والتراكيب يعطي أبعادا غير متوقعة ، يحدث عملية تحويل في معنى النص بحيث يأتي بدلالات جديدة مختلفة عن الدلالات الحقيقة للألفاظ . وفي " درس " يقول : [٧٢]

ساعةُ الرّمل بلادٌ
لا تُحب الأستلاب
كلما أفرغها الوقت من الروح
استعادت روحها
.. بالإنقــلا ب

وحين يتلاعب الشاعر بألفاظالشعر ،ينقلب الشعر الى نقد لاذع ، وسخرية مريرة ، ورفض واضح لأسلوب نظام سياسي ، يقول في " أسلوب" : [٧٣]

كلّما حلّ الظلامْ
جدّتي تروي الأساطير لنا
حتى ننامْ .
جدّتي معجبةٌ جدا
بأسلوب النظام !

. المفارقة القائمة على الحكاية السردية

وهذه السخرية قامت على مفارقة قوامها حكاية يكتنفها حوار ، واسلوب سرد مبسط يفضي الى سخرية ناقدة لجانب من جوانب الواقع الذي ضاق به الشاعر ، وفي شعر مطر يكثر أسلوب الحكاية والقص ، فلا تكاد تخلو قصيدة القصة من سرد يتصاعد من خلاله الحدث وتتبلور في أثنائه الفكرة ، وهو يلجأ الى عدة ألوان سردية ، حيث يكثر من السرد بضمير الغائب ، وكذلك بضمير المتكلم ، ويندر لديه استخدام السرد بضمير المخاطب (٧٤) وفي قصيدته : " احتياط" هناك حكاية يسردها علينا بضمير المتكلم ، يقول فيها : [٧٥]

فجعت بي زوجتي .. حين رأتني باسما !

لطمتْ كفّاً بكفٍ ، واستجارتْ بالسما
قلت : لا تنزعجي .. إنّي بخير
لم يزل دائي معافى ، وانكساري سالماً !
اطمئني .. كلّ شيء فيّ ما زال كما ..
لم أكنْ أقصدُ أنْ أبتسما
كنتُ أجري لفمي بعض التمارين احتياطاً
ربّما أفرحُ يوماً ..
ربّما !

والحرية في البلاد العربية مصادرة ، تصلب وتعلق على أعواد المشانق ، انها فكرة الشاعر في قصيدته : " في انتظار غودو " صاغها على شكل حكاية قامت على حوار بين الشاعر والحرية التي شخصها في حكايته إذ جعلها صبية تعذب وتشنق مشيرا بذلك الى كبت الحريات ومصادرتها ، هادفا من كل ذلك نقد ساخر لواقع مر، يرفضه الشاعر ويثورعليه.يقول: (٧٦)

كانت معي صبيةْ
مربوطةٌ مثلي
على مروحةٌ سقفية .
جراحها
تبكي السكاكين لها ..
ونوحها
ترثي له الوحشيةْ !
حضنتها بأدمعي .
قلت لها : لا تجزعي .
مهما استطال قهرنا ..
لا بدّ أن تدركنا الحريةْ .
تطلعتْ إليّ ؛
ثم حشرجتْ حشرجة المنيةْ :
وا أسفاً يا سيدي
إني أنا الحرية !

لقد أجاد الشاعر أحمد مطر صياغة القصة (فتسللت الى قصائده لغتها واسلوبها ، فهو يكثر من استخدام عناصرها المختلفة ، وهو يجيد صياغة الحبكة ، والوصول الى الذروة التي تتصاعد اليها

الأحداث ، وتتطور نحوها الشخصيات ليفاجئ المتلقي عندها بالحل الذي يتفجر في الغالب بمفاجأة) [٧٧] . وفي قصيدته : " الطب يضر بصحتك " يحكي لنا حكاية ، أحداثها مريرة ، تنتهي بمفاجأة ،يخبرنا فيها عن معاناة الأنسان في بلاده ، إذ يقول : [٧٨]

لي صاحبٌ
يدرسُ في الكلية الطبيةْ
تأكد المخبر من ميوله الحزبيةْ
وقام باعتقاله
حين رآه مرّةً يقرأ عن" تكّون الخليةْ " !
وبعد يومٍ واحدٍ
أ فرج عن جثته
بحالةٍ أمنيةْ :
في رأسه رفسةُ بندقيةْ
في صدره قُبلةُ بندقيةْ !
في ظهره صورة بندقيةْ !
لكنّني
حين سأ لتُ حارس الرعيةْ
عن أمره
أخبرني
أنّ وفاة صاحبي قد حدثت ْ
با لسكتة القلبيّةْ !

وفي " التهمة" ينتقد الشاعر كبت الحريات ، وممارسة القمع ، والترهيب ضد الفكر ، والثقافة ، رافضا تلك الممارسات ، وقد حقق ذلك عبر حكاية تنتهي بمفاجأة تقلب مجرى الحدث بما يشبه المفارقة . يقول : [٧٩]

كنتُ أسيرُ مفرداً
أحملُ أفكاري معي
ومنطقي ومسمعي
فا زدحمت
من حولي الوجوه
قال لهم زعيمهم : خذوه

سألتهم :
ما تهمتي ؟
فقيل لي :
تجمعٌ مشبوه !

القصة على لسان الحيوان

وهي حكايات خيالية وظفت على لسان الحيوانات وقد اتخذت طابعا شعبيا هدفها خلقي أو تعليمي تدور على ألسنة الحيوانات بينما تدور خلفيتها المعنوية على دلالت نقدية تستلهم من المجتمع عيوبه ومن الحكام فسادهم وظلمهم ، ومن سلبيات سلبيات الحياة والتقاليد موضوعا موضوعا تتناوله بالسخرية ، كما وجدنا مثل ذلك في ديوان الشاعر احمد مطر ، إذ سخر هذا اللون من القص الحكائي على لسان الحيوان لغرض السخرية التي أفضت بدورها الى الرفض وألمحت الى تمرد واضح على جملة من سلبيات الحياة والمجتمع والحكام ، وقد نجح الشاعر في تنبيه المتلقي ، وإيقاظ حسه بعد ان نجح في تحفيز قدراته للربط بين الرمز والصورة المماثلة في واقع الحياة والمجتمع . (٨٠)

ويطالعنا في ديوان أحمد مطر حكاية ساخرة على لسان الحيوان ، وهي حكايات تدور على ألسنة الحيوانات ، دلالاتها نقدية لأوضاع سياسية واجتماعية ، ومثل هذه القصص برزت عند الشعوب لتعبر عن كبت سياسي ، وعن ظروف قمع الكلمة .[٨١] ومن تلك الحكايات ، حكاية " النملة والفيل " التي ألمح الشاعر من خلالها الى اسرائيل وبلاد العرب ، وقد تضمنت الحكاية سخرية مريرة ، ونقد لاذع للوضع القائم ، وسياسة اسرائيل تجاه العرب ، وتفاقم خطرها وتماديها في بلاد العرب ، يقول في " دلال" : [٨٢]

النملةُ قالت للفيل :
قم دلكني .
ومقابل ذلك ضحّكني !
وإذا لم أضحك عوّضني
بالتقبيل وبالتمويل .
وإذا لم أقنع .. قدّم لي
كلّ صباحٍ ألف قتيل !
ضحك الفيل فشاطت غضبا :
تسخر مني يا برميل ؟
ما المضحك في ما قد قيل ؟ !
غيري أصغر ..
لكنْ طلبتْ أكثر مني .
أيّ دليل ؟

أكبر منك بلاد العربّ
وأصغر مني اسرائيل !

ومن خلال حكاية تقوم على مفارقة ساخرة يوجه الشاعر نقده للعرب الذين يتبجحون بمفاخر أجدادهم ، وهم بعيدون عن المفاخر ومجردون من المعالي والكبرياء والمكارم . يقول في " انتساب " : (٨٣)

بعدما طارده الكلبُ
وأضناه التعب
وقف القطُ على الحائط
مفتول الشنب !
قال للفأرة : أجدادي أسودْ
قالت الفأرةُ :
هل أنتم عرب ؟ !

ومثلها حكاية الجرذ الذي يدعو للنظافة خاطبا في جمهور الذباب ، وهو نقد ساخر للنفاق ، والمراوغة ، وقد رفض الشاعر هذا السلوك الشائن من خلال تأطيره بهذا الأطار الكوميدي الساخر . يقول في " خطاب تاريخي " : (٨٤)

رأيتُ جرذاً
يخطبُ اليوم عن النظافة
وينذر الأوساخ بالعقاب
وحوله
.. يصفق الذباب !

ويلاحظ أن القصص التي تدور على ألسنة الحيوان ، تدور خلفيتها المعنوية على دلالة نقدية بعيدة القصد ، تستلهم من المجتمع عيوبه ، ومن الحكام فسادهم وظلمهم ، ومن السلبيات والتقاليد موضوعا قصصيا تتناوله بالسخرية ، فتنبه المتلقى ، وتوقظ حسه بعد أن تستفز قدراته للربط بين الرمز والصورة المماثلة في واقع المجتمع (٨٥). وقد نجح الشاعر في توظيف هذه الحكايات في قصائد عديدة وقد بدى الرفض والتمرد والثورة على الواقع واضحا من خلالها ، ويمكن الرجوع الى المزيد منها في ديوان الشاعر . (٨٦)

الرفض وطبيعة الضمير في شعر أحمد مطر

لنوع الضمير في الجملة الشعرية أهمية كبيرة من حيث قدرته على التعبير عن حقيقة الصوت المرسل في القصيدة ، وكيفية التواصل مع المتلقي ، وفي ديوان أحمد مطر تنوعت الضمائر ما بين ضمير المتكلم والمخاطب ، ولكن وبعد تفحص قصائد الديوان وجدنا أن هناك ظاهرة برزت في شعره ، وهي أن

أغلب ضمائره كانت للمتكلم الذي يأتي مفردا في أكثر الأحيان ، وجمعا في أحيان أخرى ، ويبدو أن هناك علاقة سببية أكيدة بين منزع الرفض والتمرد في شخصية الشاعر ، وبين استخدامه للضمير الذي يفصح عن شخصيته "هو" ، شخصية أحمد مطر ، شخصية شخصية رافضة ، مشاكسة حتى ليبدو أن أحمد مطر متجسد في كل قصيدة من قصائد ديوانه ، فالمتحدث هو أحمد مطر ، يحدثك عن تجربته ، وعن رفضه ، وعن تمرده على الواقع الفاسد ، ونقده لسلبيات السياسة والمجتمع ، وسخريته منها ، ولعل هذا الأسلوب ـ أسلوب استخدامه لضمير المتكلم (الأنا) ـ يبدو أكثر تأثيرا مما لو استخدم ضمير المخاطب الذي كان فعالا في القصيدة ذات الروح الخطابية الذي تجلى في القصيدة العمودية لجيل سبق . أن اختلاف الواقع استلزم صيغة أخرى من الخطاب ، خطاب ينطلق عن خيبة الأمل ، واليأس الذي انتهينا إليه ، وفشل أحلام الوحدة ، والتحرر من الأستعمار ، وفقدان الحرية الفردية .

لقد نجح أحمد مطر في ديوانه ، وعبر ضمير المتكلم (ضمير الذات) أن ينقلنا من عمق الداخل (ذاته) الى عمق الخارج (مجتمعه) ، مما أتاح لنا أن ندرك ونرى ما نرى من خلال رؤيته ووعيه ، حيث هو دخل التجربة كرها وعبر عنها طوعا ، وقد وجد نفسه (ذاته) في موقع المسؤولية للكشف عن تجربته ، ومعاناته ، ونقلها للآخرين ، وبذلك حقق الهدف في كشف سلبيات المجتمع والسلطة ، ورفضها والتحريض عليها عبر استخدامه الموفق للغة الشعرية ، وأدواتها ، كما يمكن أن نضيف أن الشاعر أحمد مطر أراد من اتكائه الواضح على ضمير المتكلم (مفرد وجمع) أن ينسب الرفض والسخرية لذاته هو لا لغيره ، وكأنما أراد ان يعزو هذا الأمر لنفسه ، ويبرئ غيره ، أراد أن يخص نفسه ويبرز معاناته وألمه ، فمن ذاته انطلقت الثورة ، ومن معاناته الخاصة ولدت المعاناة العامة ، ومن تمرده الذاتي عم التمرد كل شعوب الأرض البائسة ولنتعرف على ذات أحمد مطر وهمومه ، واهتماماته ، وقضايا ه من خلال ضمير الذات :

ـ فهو مواطن حرّ متمرد على جلاديه ، يرفض الأصفاد ، إذ يقول : " ياأيها الجلاد أبعد عن يدي هذا الصفد "

ـ وهو مغترب أبعد عن وطنه بالأكراه ،إذ يقول : " أقصيت عن أهلي وعن وطني " .

ـ ويفصح عن هويته التي ارعبت الحاكم إذ يقول : " أه لو يدرك حكام بلادي من أكون "

ـ وعن قيوده ، وتاريخ مأساته يقول : " حين ولدت ألقيت على مهدي قيدا .

وكبرت ولم يكبر قيدي "

ـ وعن همومه وحزنه يقول : " كيف أغني وأنا مشنوق أتدلى "

ـ وعن علاقته بالسلطة يحدثنا : " بتر الوالي لساني .. عندما غنيت شعري " .

ـ وعن معاناته وصبره يفصح بقوله : " لم أزل أمشي ببطء .. فوق أشواك الليالي

ـ وعلى ظهري حمار "

ـ وعن طبعه يحدثنا بقوله : " إنّ طبعي مثل طبع الشوك

لا أعدو عن الوخز

ولا أغدو طريا " .

ـ ويصف وضعه بقوله : " من وضعنا البئيس "

ـ وعن صورته يحدثنا قائلا : " يفجعني في صفحة المرآة ..

ظلي المنحني : .

وهكذا وعبر ضمير المتكلم (الظاهر والمضمر) (المفرد والجمع) يحدثنا الشاعر عن أحمد مطر . شكله، وهمه ، ورفضه ، وطبعه ، وشعره ، يأسه ، فكان ضمير الذات فاعلا في نقل أحمد مطر بأمان ولأن شخصية أحمد مطر رافضة ، متمردة ، ساخرة ، فقد امتد الرفض والسخرية والتمرد الى المتلقي ، وكان للغة الشعرية وحسن استخدامها دورفعال في ايصال الرساله ، وتحقيق الهدف منها .

الخـا تمـة

يتضح مما سبق إنّ آليات الرفض ، والتمرد في شعر أحمد مطر هي بنية أسياسية في شعره ، تنوعت مستوياتها ، وأساليبها ، ومن ثم لم تكن رفضا عبثيا مقطوع الصلة عن ظروفه ومعاناته ، بل رفض قائم على رؤية فنية ، وتصور ذهني واضح ، ومعاناة أكيدة ، ومؤثرة ، وبهذا فأن قصائد أحمد مطر الرافضة ، وبآلياتها المتنوعة أعطت للشاعر خصوصية ، واعتبار في زمن كاد الشاعر يفقد خصوصيته واعتباره .

إنّ رفض الشاعر لمظاهر القبح ، والفساد في واقعه وعصره أمر عظيم ينوء بحمله الشاعر ، ولم يبد هينا في عصرنا هذا ، وهذا ما أخذ به الشاعر نفسه في ديوانه.

هوامش البحث

١. ينظر : لسان العرب ، مادة : " رفض " .

٢. ينظر: المعجم الوسيط ، مادة : " مرد" ، والصحاح ، مادة: " مرد" : ٤٥٣/١ .

٣. بنية الرفض ومستوياته في ديوان " ذاكرة الجرح الجميل " لمحمد الشيخي ، د. المهدي لعرج

ص : ٤

٤. أحمد مطر : شاعر عراقي ولد سنة (١٩٥٠) في إحدى نواحي شط العرب في البصرة ، وعاش فيها طفولته ، بدأ بكتابة الشعر في سن الرابعة عشرة ، ولم تخرج قصائده الأولى عن نطاق الغزل والرومانسية ، وحينما أدرك خفايا الصراع بين السلطة والشعب ألقى بنفسه في أتون هذا الصراع ، إذ لم تطاوعه نفسه على الصمت ،فأصبح غير مرغوب فيه ، مما اضطره الى اللجوء الى الكويت ، وهناك واجه الحياة كلاجئ ، ثم راح يعمل في جريدة القبس الكويتية محررا أدبيا وثقافيا ، ومرة أخرى أبعد الى لندن بسبب لهجته الحادة ، وهناك عاش الغربة الحقيقية ، والمعاناة بكل أشكالها ، ولم يقدر على كتمان شعره ومحنة وطنه العراق ، فأصبحت كلماته كالرصاص في وقعها على النفوس ، وأصبح شاعر الرفض الأول بين شعراء عصره ، وشاعر السخرية المرة. ينظر : عناصر الابداع الفني في شعر أحمد مطر ، كمال أحمد غنيم ، ص : ٤٦.٥٩ ، وينظر : لقاء مع أحمد مطر أجراه كمال غنيم ، مجلة الرابطة "٢"، ١٩٩٥ .

وينظر : لقاء مع أحمد مطر أجراه عبد الرحيم حسن ، مجلة " العالم" ، "١٨٥" لندن (٥٢.٥٤)
١٩٨٧

وللمزيد ينظر: شاعر جديد يلفت الأنظار ، رجاء النقاش ، مجلة " المصور " ، ١٩٨٧ .

وينظر : أحمد مطر شاعر الحزن والوطن والثورة ، ابتسام عبد الله ، صحيفة " الخليج" ، الامارات العربية ، ١٩٨٨/٦/٤ .

وينظر : قضية شياطين الشعراء ،عبد الله المعطاني ، مجلة فصول ، ١٠ (١،٢) ، (١٣،٢٣) ، القاهرة .

وينظر لقاء مع أحمد مطر ،مجلة " الوطن العربي ، (١٩٨٥) ، (٤٣١) ، (٥٤ .٥٥) ، الكويت .

٥ـ اللافتات : هي مصطلح أطلقه الشاعر على مجموعات شعرية في ديوانه ، وصلت الى خمس مجموعات ، وهي تعطي انطباعا لشكل القصائد التي تحتويها ، ومضامينها ، فهو يعلن من خلالها أنه رجل يسير في مظاهرة صاخبة يحمل فيها لافتاته الخاصة ، ولعل الشاعر أراد بهذه التسمية أن قصائده فيها روح اللافتة ، حيث الإثارة والوضوح والقصر ، واللمحة السريعة الدالة، فضلا عن روح الرفض والتمرد ، ينظر : عناصر الأبداع الفني /ص : ١٧٧ .

٦. ينظر الديوان ، الصفحات : (٤٩٥،٤٩٨ ، ٤٣٦ ، ٤٠٦ ، ٩ ، ٣٩ ، ٥٤ ، ٧٩ ، ٢٥٢ ، ٣١٨ ، ٣٣٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥٦ ، ٣٥١ ، ٢٨٣ ، ١٥٢) .

٧. ينظر : عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر ، ص : ٢٢٦ .

٨. ينظر : آليات الرفض في القصيدة العربية الحديثة ، د . مصطفى الضبع ، ص ٤.٣ .

٩. ينظر الديوان : ص ٣٨٩ .

١٠. ينظر الديوان : ص ٧٧ .

١١. ينظر الديوان : ص ٢٩٠ .

١٢. ينظر الديوان : ٢٤١ .
١٣. ينظر الديوان : ص ١٠٢ .
١٤. السؤال فضاءً شعريا ... ديوان (حرائق التكوين) انموذجا ، علي الأمارة ، ص : (٢.١)
١٥. ينظر عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر ، ص : ٢٢١ .
١٦. ينظر الديوان : ص ٢٤٠ .
١٧. ينظر الديوان : ص ٥٠٢ .
١٨. ينظر الديوان : ص ١٦٠ .
١٩. ينظر الديوان : ص ١٥٦ .
٢٠. ينظر الديوان : ص ١٩٢ .
٢١. ينظر الديوان : ص ٥٣ .
٢٢. ينظر الديوان : ص ٢٠٩ .
٢٣. جمالية الخبر والإنشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية)، د . حسين جمعة ، ص ٥ .
٢٤. ينظر الديوان : ص ٤٨٨ .
٢٥. ينظر الديوان : ص ٤٨٤ .
٢٦. ينظر : الخطاب التهكمي في شعر الجواهري ، قيس الجنابي ، ص ٢ .
٢٧. ينظر الديوان : ص ٤٣٤ .
٢٨. ينظر الديوان : ص ٤٢٤ .
٢٩. ينظر الديوان :ص ١٤٣ .
٣٠. ينظر الديوان : ص ١٧٢.
٣١. ينظر : العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ٢/ ٧٣ . وانظر : الصناعتين للعسكري ، ص ٢١٢ . ، والمثل السائر لأبن الأثير ، ٢/ ٣٤٥ .
٣٢. . ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع ، ابن معصوم ، ٥ / ٣٤. ٣٥ .
٣٣. ينظر : سر الفصاحة لإبن سنان الخفاجي ، شرح وتحقيق عبد المتعال الصعيدي ، ص ٩٥.٩٦ .وانظر الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، صالح أبو أصبع ، ص ٣٣٧ .
٣٤. موسيقى الشعر ، ابراهيم أنيس ، ص ص .
٣٥. ينظر الديوان : ص ١٠٥ .
٣٦. ينظر الديوان : ص ١٨٤ .
٣٧. ينظر الديوان : ص ١٥٤

٣٨. نهاية الإيجاز في دراية الأعجاز للفخر الرازي ، ص ٤٠.٤١ . وانظر معاني الأبنية في العربية ، د فاضل صالح السامرائي ، ص ١١ .

٣٩ . ينظر الديوان : ص ١٧٠ .

٤٠ . ينظر الديوان : ٩٦ .

٤١. ينظر الديوان : ٢٣٠ .

٤٢ . ينظر الديوان : ص ١٩٢

٤٣. ينظر : عناصر الأبداع الفني في شعر أحمد مطر ، كمال أحمد غنيم ، ص ١٠٤ .

٤٤. ينظر الديوان : ص٢٥٥ .

٤٥ . التكرار في الشعر الجاهلي ، د . موسى ربايعة ، ص ٥ .

٤٦ . ينظر الديوان : ص ٢٣٨ .

٤٧ . قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، ص ٢٤٣ .

٤٨ ـ ينظر : قضايا الشعر المعاصر ، ص: ٢٤٣ـ٢٤٤ ، والحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، ص: ٣٤٣ .

٤٩ . ظاهرة التكرار في شعر الشابي ، ص١٧ .

٥٠ . ينظر الديوان : ص٨٠ .

٥١ . ينظر الديوان : ص ٨٦ .

٥٢ . ينظر الديوان : ص ٨٤ .

٥٣. ينظر الديوان : ص ١٥٢ .

٥٤ . ينظر الديوان : ص ٤٦٦ .

٥٥ . ينظر : السخرية والتهكم في شعر حافظ ابراهيم ، محمد المنصوري ،ص ٨ .

٥٦ . ينظر : السخرية في شعر البردوني ، عبد الرحمن محمود ،ص ١١.٦ .

٥٧ . الشعر والنقد السياسي ، عبد الرحمن حسن ، مجلة العالم ، ص ٥٥ .

٥٨ . ينظر: عناصر الأبداع الفني في شعر أحمد مطر ،ص ١٩٦ ، بناءً على احصائية أجراها المؤلف على ديوان الشاعر .

٥٩ . افدت من التقسيم الذي اعتمده الدكتور ثائر العذاري في بحثه الموسوم : "المفارقة في شعر أحمد مطر " ، وذلك في رسم الخطوط العامة للمفارقة ، مع الأضافة اليها ، والتوسع في دراستها ، واعتماد نماذج مختلفة تماما .

٦٠ . ينظر الديوان : ،ص ٤٣٨ .

٦١ . ينظر الديوان : ٨٦ .

٦٢ . ينظر الديوان : ص٩٦ .

٦٣. ينظر الديوان : ص ٣٥٨ .

٦٤. ينظر الديوان : ص٧٦ .

٦٥ . ينظر الديوان : ص٩ .

٦٦ . ينظر الديوان : ص ١٢ .

٦٧ . ينظر الديوان : ص ٢٥ . .

٦٨. ينظر الديوان : ٧٣ .

٦٩ . ينظر الديوان : ص ١٥٧ ، وينظر ديوان صفي الدين الحلي ، والقصيدة التي ألمح اليها الشاعر أحمد مطر في ديوان الحلي هي :

سلوا الرماح العوالي عن مغانينا واستشهدوا البيض : هل خاب الرجا فينا

بيضٌ صنائعنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا

٧٠ . ينظر الديوان : ص ٢١٧ ، ويراجع ديوان أبي القاسم الشابي ، والقصيدة التي ألمح اليها الشاعر أحمد مطر هي ، قصيدة لحن الحياة ،يقول فيها :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلي ولابد للقيد أن ينكسر

٧١ . ينظر الديوان : ص٥٠ .

٧٢ . ينظر الديوان : ص ٤٩٣ .

٧٣ . ينظر الديوان : ص١٥٧

٧٤. ينظر عناصر الابداع الفني في شعر أحمد مطر ، ص ٢٠٣ .

٧٥ . ينظر الديوان : ص٣٨٥ .

٧٦ . ينظر الديوان : ص ٣٧١ .

٧٧ . عناصر الابداع الفني في شعر أحمد مطر ، ص ١٩٩ .

٧٨ . ينظر الديوان : ص٧٦ .

٧٩ . ينظر الديوان : ص ١٠ .

٨٠. ينظر عناصر الابداع الفني في شعر أحمد مطر ص ٢٠٥ .

٨١ . ينظر : الأنواع الأدبية ، شفيق البقاعي ، ص ٤١٤ .

٨٢ . ينظر الديوان : ص ٤٣٧ .

٨٣ . ينظر الديوان : ص ٤٢٤ .

٨٤ . ينظر الديوان : ص ١١ .

٨٥ . ينظر: عناصر الأبداع الفني في شعر أحمد مطر ، ص ٢٠٥ ،

٨٦ . للمزيد من هذه النماذج يراجع الديوان على الصفحات : (٣٠١ ، ٢١٨ ، ٢٧٧ ، ٢٣٣ ، ٧٣ ، ٢١ ، ٩٢ . ...)

مصادر الكتب

الكـتب .

. الأعمال الشعرية الكاملة (ديوان أحمد مطر) ط٢ ، لندن ، ٢٠٠٣ .

. أغاني الحياة (ديوان ابي القاسم الشابي) ط١ ، دار الكتب الشرقية ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

. أنوار الربيع في أنواع البديع ، ابن معصوم ، تحقيق : شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٩٦٩.

ـالأنواع الأدبيـة (مـذاهب ومـدارس فـي الأدب المقـارن) شـفيق البقـاعي ، مؤسسـة عـز الـدين للطباعـة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥ .

ـ جماليـة الخبر والأنشـاء (دراسـة جماليـة بلاغيـة نقديـة) ، د . حسين جمعـة ، مطبوعـات اتحـاد الكتـاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٥ .

. الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة ، صالح أبو أصبع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

. ديوان صفي الدين الحلي ، دار صادر ، بيروت ، (د . ت) .

ـ السخرية في شعر البردوني ، عبد الرحمن محمد محمود ، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، كلية التربية ، ٢٠٠٢ .

. سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

. الصحّاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجواهري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٨ .

. الصناعتين ، ابو هلال العسكري ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١ .

. ظاهرة التكرار في شعر أبي القاسم الشابي (دراسة اسلوبية) ، د . زهير أحمد المنصور ، جامعة ام القرى ، (د.ت)

. عناصر الإبداع الفني في شعر أحمد مطر ، كمال أحمد غنيم ، مطبعة ستارة ، ايران ، (د. ت)

ـ العمدة في محاسن الشعر ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٨١ .

. قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، ط ٧ ، بيروت ، ١٩٨٣ .

. لسان العرب ، ابن منظور ، تحقيق : عبد الله الكبير وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة ،(د.ت)

ـ المثل السائر ، لإبن الأثير ، تحقيق د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، الفجالة ، القاهرة ، د. ت .
. معاني الأبنية في العربية ، د. فاضل صالح السامرائي ، جامعة الكويت ، ١٩٨١ .
. المعجم الوسيط ، أحرجه ابراهيم مصطفى وآخرون ، المطبعة الإسلامية ، استنانبول ، ١٩٧٢ .
. موسيقى الشعر ، د. ابراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٩٧٨ .
. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، للفخر الرازي ، مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ، القاهرة ، ١٣١٧ هـ .

الصحف والمجلات

ـ آليات الرفض في القصيدة العربية الحديثة ، د. مصطفى الضبع ، مجلة أفق الثقافة ، فبراير ، ٢٠٠٤
ـ أحمد مطر شاعر للحزن والوطن والثورة ، ابتسام عبد الله ، صحيفة الخليج ، الأمارات العربية ، ٤ / ٦ / ١٩٨٨ .

ـ التكرار في الشعر الجاهلي ، د. موسى ربايعة ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات ، جامعة مؤتة ، الأردن ، المجلد الخامس ، العدد الأول ، ١٩٩٠ .
ـ الخطاب التهكمي في في شعر الجواهري ، قيس كاظم الجنابي ، مجلة الموقف الأدبي ، العدد ٣٩٩ ، السنة الرابعة والثلاثون ، تموز ٢٠٠٤ .
ـ السؤال فضاءا شعريا .... ديوان حرائق التكوين أنموذجا ، علي الأمارة ، صحيفة المثقف ، السنة الثانية ، العدد ٥٧٠ ، ٢٠٠٨ .
ـ شاعر جديد يلفت الأنظار ، رجاء النقاش ، مجلة المصور ، ١٩٨٧.
ـ الشعر والنقد السياسي ، عبد الرحيم حسن ، مجلة العالم ، العدد ٥٠ سنة ١٩٩٠ ، وينظر العدد ١٨٥ ، سنة ١٩٨٧ ، و١٩٩٢ .
ـ قضية شياطين الشعراء ، عبد الله سالم المعطاتي ، مجلة فصول ، العدد ١٠ (١،٢) ، (١٣،٢٣) ، القاهرة ، ١٩٩١ .
ـ المفارقة في شعر أحمد مطر ، د. ثائر العذاري ، موقع النخلة والجيران على الانترنت ، موقع ثقافي يهتم بشؤون الثقافة والفن ، ٢٠٠٧ .

لقاءات الشاعر أحمد مطر

ـ لقاء أجراه الشاعر كمال أحمد غنيم ، مجلة الرابطة ، ٢ ، (١٨. ٢٢) غزة ، مركز العلم والثقافة .
ـ لقاء مع الشاعر أحمد مطر أجراه عبد الرحيم حسن ، مجلة العالم ، ١٨٥ ، ١٩٨٧ .
ـ أحاديث للشاعر أحمد مطر ، مجلة الوطن العربي ، الكويت ، ٤٣١ ، (٥٤. ٥٥) ، وحديث له على منتديات مجلة أقلام ، منتدى النقد الأدبي والدراسات ، على النت .

Abstract

Lexically, rejection means to leave something. You say: *"he rejected me, so I rejected him"*. It has been stated in Allisan: *"to reject something is to refuse, and to disapprove it"*, i.e. to leave and quit it.

Mutiny, on the other hand, means to exceed the limits. You say: *"the man rebels"*; which means that *"he disobeys and exceeds the limits"*, and *"the boy has rebelled against his people"* which means he disobeys and becomes obstinate and insistent.

In terminology, rejection and mutiny have the same lexical implication for according to the poet, rejection means disapproving and leaving the repulsive reality and criticizing it ironically, whereas mutiny, parallel to its lexical implication, refers to refusing, disapproving and disobeying the others' point of view, and announcing rebellion against the contaminated and inferior reality. Strikingly, it meets rejection in this respect though mutiny is much stronger than rejection. Yet, both agree in referring to disapproving, denying, and ridiculing reality.

Rejection and mutiny become the fate of the Arabic poet. Thus, the cruel circumstances and the successive crises motivate him to adopt a rejecting and mutinous situation since it is the only weapon he has to restore his dignity (it creates a distance between his ambitions and dreams, and reality and its warrants).

Ahmed Matar is one of the reality-rejecting and mutinous poets if not their precursor. He has taken refuge in rejection and a resort in mutiny. In fact, he has more than one satisfactory reasons to do so. Hence, he belongs to a generation that set off its poetic journey synchronous with social and political crises and disasters. Ahmed Matar, in particular, is an Iraqi poet who has lived during successive crises and disasters on the individual and social levels. He has found himself restrained in hard times and unable to achieve neither his nor his generation's dreams and ambitions.

Ahmed Matar has lived under oppression, tyranny, injustice, and exile whose tide overwhelm over all fields. This stimulates the poet to adopt rejection

and mutiny, and to leave silence and obedience. As such, they become the poet's weapon to restore his dignity and participate in depicting the image of a utopia where justice, equality, and freedom are achieved, and where oppression and exile disappear.

Ahmed Matar's poems and Lafitat are a kind of rejection poems that aim to attract the attention to and identify the dangers of a bitter reality, and instigate and reject it.